جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الحَياةُ والمَوتُ في شِعرِ ابنِ الرّومِيِّ

إعداد
محمد أحمد سعيد حموه

إشراف
د. عبد الخالق عيسى

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2017م

الحَياةُ والمَوْتُ في شِعْرِ ابْنِ الرّوميِّ

إعداد

محمد أحمد سعيد حموه

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 22 / 11 / 2017م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. عبد الخالق عيسى/ مشرفاً ورئيساً	.....
2. أ.د. مشهور حبازي / ممتحناً خارجياً	.....
3. أ. د. إحسان الديك / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى معنى الوجود، وحقيقة العطاء: أبي

إلى كينونة المعنى، وصيرورة الحقيقة: أمي

إلى الصميم الأعمق، والثابت الأول: زوجتي

إلى الأغصان العالية، والشجرة السامقة: أخوتي

شكر وتقدير

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الحمدُ للهِ الذي جعلَ اختلافَ الألسنةِ من آياتِ قدرتهِ، وجعلَ العربيةَ لغةَ سكانِ جنتهِ، وصلاةً وسلامًا على خيرِ مَنِ اصطفاهُ من بريَتِه سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ وذريَّته، وبعد:

فانطلاقًا مِنَ القاعدةِ الإسلاميَّةِ السَمحةِ التي تحثنا على شكرِ أولي الفضلِ والإحسانِ، وامتثالًا لقولِ الصَّادقِ المعصومِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَم" لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ النَّاس". فإنِّي أبدأُ بحمدِ ربي وشكرهِ الذي تعددت نَعماؤهُ وعمَّت البشر الآؤه، لا إله إلا هوَ الملكُ الحقُّ المبينُ يحيي ويميتُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قدير. ثم أتوجهُ بعظيمِ شكري إلى من يستحقُ الشكرَ بعدَ اللهِ عزّ وجلَّ، الدكتور عبد الخالق عيسى الذي تفضلَ بالإشرافِ على هذهِ الرِّسالةِ منذُ أن كانت بذرةً حتّى استوت على سوقِها، فقوَّمَ عوجها، وصححَ لحنَها، وأجهدَ نفسهُ في الاطلاعِ على كلِّ كلمةٍ كتبت فيها، فأسألُ اللهَ أن يباركَ في علمهِ وولدهِ وأنْ يجزيَهُ عنّي وعن طلابِ العلمِ خيرَ الجزاء.

كما أزفُّ منَ الشُّكرِ أحسنه ومن الثناءِ أعطره إلى من أكنُّ لهُ خالصَ محبَّتي إلى صاحبِ الأخلاقِ الكريمةِ والأدبِ الجمِّ الرَّفيعِ الأستاذ الدكتور إحسان الديك، أستاذي في جامعة النجاح الوطنية والمشرف المشارك على هذهِ الرِّسالةِ، أدعو اللهَ العليَّ القديرَ أن يمتِّعهُ بالصِّحةِ والعافيةِ وأن يجزيَهُ عنّي وعنْ طلابِ العلمِ خيرَ الجزاء.

والشُّكر موصولٌ إلى الأستاذ الدكتور مشهور حبّازي في جامعة القدس أبو ديس، الذي تتضاؤلُ الكلماتُ والجملُ أمامَ محرابِ علمهِ، فأجزلَ اللهُ لهُ الثَّوابَ على ما قدمهُ وسيقدِّمهُ من تراثٍ نافعٍ وأثرٍ نفيسٍ، وأسألُ اللهَ أن يمتِّعهُ بالصِّحةِ والعافيةِ، وأن يباركَ في علمهِ وأهلهِ وذريَّتِهِ.

وأقدِّمُ شكري وعرفاني إلى كلِّ من ساندني في إتمامِ هذا البحثِ فلكم جميعًا كل الشُّكرِ والتَّقديرِ.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الحَياةُ والمَوتُ في شِعرِ ابنِ الرّومِيِّ

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: اسم الطالب: محمد أحمد سعيد عمون

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: 22/11/2017م

فَهرَسُ المُحْتَوَياتِ

المَوضوعُ	الصَّفحَةُ
الإهداءُ	ج
الشُّكرُ والتَّقديرُ	د
إقرارٌ	هـ
فَهرَسُ المُحتَوَياتِ	و
المُلَخَّصُ	ح
المُقَدِّمَةُ	1
التَّمهيدُ	3
الفَصلُ الأَوَّلُ: مَفهومُ الحَياةِ والمَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ	9
- **تَأسيسٌ**	10
المَبحَثُ الأَوَّلُ: مَفهومُ الحَياةِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ	11
أَوَّلًا: ذَمُّ الحَياةِ والعُزوفُ عَنها	14
ثَانِيًا: التَّشَبُّثُ بِالحَياةِ وحُبُّهُ لَها	17
أ- الشَّبابُ	18
ب-الطَّبيعَةُ	21
ت-الحَياةُ الماجِنَةُ	23
المَبحَثُ الثّاني: مَفهومُ المَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ	27
أَوَّلًا: المُعتَقَدُ المَذهبيُّ	27
ثانِيًا: أَحَقِّيَّةُ المَوتِ	32
ثالِثًا: القَلَقُ	37
أ- القَلَقُ مِنَ الطَّبيعَةِ	38
ب-القَلَقُ مِنَ البَشَرِ	43
ت-القَلَقُ مِن فُقدانِ الشَّبابُ	45
رابِعًا: الخُطوبُ	48
الفَصلُ الثّاني: مَلامِحُ المَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّومِيِّ	54
المَبحَثُ الأَوَّلُ: الشَّيبُ	55

المَبحَثُ الثّاني: المَرَضُ	70
المَبحَثُ الثالِثُ: الزَّمَنُ	77
أ- مُتَعَلِّقاتُ الزَّمَنِ	78
1- الزَّمَنُ الظّالِمُ	80
2- الزَّمَنُ مُفرِّقُ الأَحِبَّةِ	82
3- الزَّمَنُ المُفتَرِسُ	84
4- الزَّمَنُ الخائِنُ والماكِرُ	86
5- الزَّمَنُ العابِثُ	87
ب-التَّخَلُّصُ مِنَ الزَّمَنِ	88
الخاتِمَةُ	91
ثَبتُ المَصادِرِ والمَراجِعِ	93
Abstract	B

الحَياةُ والمَوتُ في شِعرِ ابنِ الرّومِيِّ

إعداد

محمد أحمد سعيد حموه

إشراف

د. عبد الخالق عيسى

الملخص

تَسعى هذِهِ الدِّراسَةُ إلى الوُقوفِ عَلى إشكالِيَّةِ الحَياةِ والمَوتِ عِندَ ابنِ الرّومِيِّ، وتَوضيحِ رُؤيَتِهِ فيهِما، وتِبيانِ أَثَرِهِما النَّفسِيِّ عَلَيهِ، والكَشفِ عَن أَسرارِهِما، وذلِكَ مِن خِلالِ سَبرِ أَغوارِ نُصوصِهِ الشِّعرِيَّةِ، والتَّنقيبِ حَولَها.

وتَأتي هذِهِ الدِّراسَةُ في: مُقَدِّمَةٍ، وتَمهيدٍ، وفَصلَينِ، وخاتِمَةٍ، وأَمّا المُقَدِّمَةُ فقَد أَتَت عَلى مَوضوعِ البَحثِ ومَنهَجِ الدِّراسَةِ ومُحتَوَياتِها، وسَبَبِ اختِيارِ مَوضوعِ الدِّراسَةِ، وأَهَمِّ المَصادِرِ والمَراجِعِ الَّتي أَخَذَ مِنها الباحِثُ، ويَدورُ في التَّمهيدِ عَرضٌ مُوجَزٌ حَولَ مَوضوعِ الحَياةِ والمَوتِ في عُصورٍ مُختَلِفَةٍ، وُقوفًا عَلى الأَساطيرِ والمُعتَقَداتِ القَديمَةِ، ووُصولًا إلى العَصرِ العَبّاسِيِّ.

وتَقِفُ الدِّراسَةُ في فَصلِها الأَوَّلِ عَلى مَفهومِ الحَياةِ والمَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّومِيِّ، فعَرَضَت آراءَ بَعضِ النُّقّادِ والباحِثينَ في النَّظرَةِ المُختَلِفَةِ لِلحَياةِ، وتَناوَلَت مَوضوعاتٍ مُتَنَوِّعَةً ارتَبَطَت بِالحَياةِ والمَوتِ ارتِباطًا مُباشَرًا، بَيَّنَت رُؤيَتَهُ فيهِما.

وتَتَناوَلُ في الفَصلِ الثّاني مَلامِحَ المَوتِ في شِعرِهِ، مِنها حَديثُهُ عَنِ الشَّيبِ والمَرَضِ والزَّمَنِ، تِلكَ المَلامِحُ الَّتي تَرَكَت أَثَرًا سَلبِيًّا عَلَيهِ، ووَلَّدَتِ المَخاوِفَ في حَياتِهِ.

وانتَهَتِ الدِّراسَةُ بِخاتِمَةٍ تَضَمَّنَت أَهَمَّ النَّتائِجِ الَّتي تَوَصَّلتُ إِلَيها.

المُقَدِّمَةُ

الحَمدُ لِلهِ الَّذي علَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإنسانَ ما لَم يَعلَم، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى أَفصَحِ مَن نَطَقَ بِالضّادِ، ومَلَكَ زِمامَ الُّلغَةِ والمَعنى والبَيانِ، فلَم يَسمَعِ النّاسُ بِكَلامٍ أَعَمَّ نَفعًا، ولا أَصدَقَ لَفظًا، ولا أَفصَحَ عَن مَعناهُ، ولا أَبيَنَ عَن فَحواهُ مِن كَلامِهِ. أَمّا بَعدُ؛

فَإِنَّ مَوضوعَ الحَياةِ والمَوتِ مُتَأَصِّلٌ في عَقلِ الإنسانِ مُنذُ القِدَمِ، شَغَلَ تَفكيرَهُ، وفَسَّرَ ظَواهِرَهُ الكَونِيَّةَ في دَربِ إيجادِ حَلٍّ لَهُ يَقهَرُهُ، فيكونُ مُخَلّدًا في الحَياةِ، لَكِنَّهُ حَظِيَ بِالخُسرانِ، إلى أَن جاءَ الدِّينُ الإسلامِيُّ، فقَوَّمَ عَقلَهُ، وصَحَّحَ مَسارَ تَفكيرِهِ، وقَدَّمَ جَوابًا شافِيًا لِمَن حَدَّثَتهُ نَفسُهُ بِالتَّغَلُبِ عَلى المَوتِ، ونَيلِ الخُلُودِ، فقَرَّرَ أَنَّ الحَياةَ فانِيَةٌ، زائِلَةٌ بَعدَ أَمَدٍ مُقَدَّرٍ مِنَ اللهِ، عَزَّ وجَلَّ، فهُوَ المُحيِي وإِلَيهِ المآلُ.

وقَد أَنتَجَ الشُّعراءُ شِعرًا يَقِفُ عَلى الحَياةِ والمَوتِ، ويَلِجُ عالَمَيهِما، فتَوَقَّفوا عَلى لَذائِذِ الحَياةِ وأَطايِبِها، واستشعَروا بِقُدومِ المَوتِ، وأَكَّدوا حَتمِيَّتَهُ ووجودَهُ، لكنَّنا في هذهِ الدِّراسَةِ، نُخَصِّصُ المَوضوعَ في ابنِ الرّومِيِّ، ذاكَ الشّاعِرُ العَبّاسِيُّ الَّذِي تكالَبَت عَلَيهِ الحَياةُ وهَبَّت عَلَيهِ ريحُ المَوتِ العاصِفِ، وأَمالَت عَرشَهُ وقَصَمَت ظَهرَهُ، وغَيَّرَ الزَّمَنُ تَقاسيمَ وَجهِهِ، ومِن هُنا عَزَمتُ عَلى إنجازِ هذِهِ الدِّراسَةِ الَّتي تُسَلِّطُ الضَّوءَ عَلى مَفهومِ الحَياةِ والمَوتِ في فِكرِ ابنِ الرّومِيِّ، مُتَناوِلًا نَماذِجَ مِنَ الشِّعرِ الَّذي عُرِضَ لِلحَياةِ والمَوتِ، وقَد جَعَلتُها في مُقَدِّمَةٍ وتَمهِيدٍ، وفَصلَينِ، وخاتِمَةٍ، وثَبتٍ يَضُمُّ المَصادِرَ والمَراجِعَ الَّتي استَنَدتُ عَلَيها.

تَناوَلتُ في الفَصلِ الأَوَّلِ مَفهومَ الحَياةِ والمَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّومِيِّ، وتَوَقَّفتُ عِندَ آراءِ بَعضِ النُقّادِ في نَظرَتِهِم لِمَفهومِ الحَياةِ عِندَهُ، وتَحَدَّثتُ عَن ذَمِّهِ الحَياةَ وتَشَبُّثِهِ بِها، وعَرَضتُ في ذلِكَ حَديثَهُ عَنِ الشَّبابِ والطَّبيعَةِ والحَياةِ الماجِنَةِ، ثُمَّ انتَقَلتُ إلى الحَديثِ عَن مَفهومِ المَوتِ عِندَهُ، فعَرَّجتُ عَلى المُعتَقَدِ المذهبي، وبَيَّنتُ التَّوَجُّهاتِ المذهبيةَ الَّتي اتَّجَهَ إلَيها في حَياتِهِ، وتَحَدَّثتُ عَن حَتمِيَّةِ المَوتِ وأَحَقِّيَّتِهِ فِي شِعرِهِ، وقَلَقِهِ مِنَهُ، وتَجَلِّياتِهِ في الطَّبيعَةِ والبَشَرِ وفُقدانِ الشَّبابِ، وخَتَمتُ الفَصلَ بالحَديثِ عَنِ الخُطوبِ الَّتي واجَهَتِ الشّاعِرَ في سِنِيِّ حَياتِهِ، وأَثَرِها عَلى نَفسِيَّتِهِ.

وخَصَّصتُ الفَصلَ الأخيرَ لِلحَديثِ عَن مَلامِحِ المَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّومِيِّ، فعَرَضتُ مَوضوعَ الشَّيبِ بِنَظرَتَيهِ التَّشاؤُمِيَّةِ والتَّفاؤُلِيَّةِ، وتَطَرَّقتُ إلى المَرَضِ وصورَتِهِ في شِعرِهِ، وبَيَّنتُ ما لازَمَهُ مِنها في حَياتِهِ، وتَوَقَّفتُ عَلى الزَّمَنِ وأَثَرِهِ عَلَيهِ، وجَعَلتُهُ في قِسمَينِ، أَوَّلُها يَتَحَدَّثُ عَنِ الزَّمَنِ ومُتَعَلَّقاتِهِ الَّتي تَشمَلُ الزَّمَنَ الظّالِمَ، والمُفَرِّقَ، والمُفتَرِسَ، والخائِنَ، والمُتَقَلِّبَ، وثانيها يَتَحَدَّثُ عَن تَخَلُّصِهِ مِنَ الزَّمنِ. وأَمّا خاتِمَةُ البَحثِ، فتَضَمَّنَت النَتائِجَ.

وقَد بَنَيتُ الدِّراسَةَ عَلى المَنهَجِ التَّكامُلِيِّ، واستَعَنتُ بِبَعضِ الدِّراساتِ القَديمَةِ، فاعتَمَدتُ عَلى ديوانِ ابنِ الرّومِيِّ الَّذي حَقَّقَهُ حُسَين نَصّار، وهُوَ ديوانٌ ضَخمٌ ضَمَّ سِتَّةَ أَجزاءٍ، وعُدتُ إلى أُمّاتِ الكُتُبِ، ومِنها: وَفَياتُ الأَعيانِ وأَنباءُ أبناء الزَّمانِ لِابنِ خِلِّكانِ، ورِسالَةُ الغُفرانِ ومَعَها نَصٌّ مُحَقَّقٌ لِرِسالةِ ابنِ القارِحِ لِأَبي العَلاءِ المَعَرِّيِّ، والعِقدُ الفَرِيدُ لابنِ عَبدِ ربّهِ، وزَهرُ الآدابِ وثَمَرُ الألبابِ لِلحُصرِيِّ، وعُيونُ الأَخبارِ لابنِ قُتَيبَة الدَّينَوَرِيِّ، والبَيانُ والتَّبيينُ للجاحِظِ، والتَّمثيلُ والمُحاضَرَةُ لِلثَّعالِبِيِّ، والشِّهابُ في الشَّيبِ والشَّبابِ لِلشَّرِيفِ المُرتَضِيِّ.

واستَفَدتُ مِن كُتُبِ المُحدَثينَ، ومِنها: ابنُ الرّومِيِّ حَياتُهُ مِن شِعرِهِ لِعَبّاسِ مَحمودِ العَقّادِ، ومِن حَديثِ الشِّعرِ والنَّثرِ لِطهَ حُسَين، وفي العَصرِ العَبّاسِيِّ الثّاني لِشَوقي ضَيف، وابنُ الرّومِيِّ فَنُّهُ ونَفسِيَّتُهُ مِن خِلالِ شِعرِهِ لِإيليا الحاوِي، وابنُ الرّومِيِّ شاعِرُ الوِجدانِ الإنسانِيِّ لِيُوسُفَ مارون، والدَّهرُ في شِعرِ ابنِ الرّومِيِّ لِمُحَمَّدِ عيسى الحورانِيِّ، وابنُ الرّومِيِّ الشّاعِرُ المُجَدِّدُ لِركانِ الصَّفَدِيِّ.

وأَخيرًا، أَسأَلُ المَولى، عَزَّ وجَلَّ أَن يَكونَ هذا العَمَلُ أَقرَبَ إلى الكَمالِ مِنهُ إلى النُّقصانِ، وما هذِهِ الدِّراسَةُ إلّا رُؤيَةٌ وسَتَتبَعُها رُؤى، وكُلُّ رُؤيَةٍ قابِلَةٌ لِلنِّقاشِ، فاغفِروا لي زَلّاتي.

تَمهيدٌ

واجهَ الإنسانُ في مختلفِ العصورِ عقباتٍ كثيرةً في فهمِ ثنائيةِ الحياةِ والموتِ، فبدأَ البحثَ والاستقصاءَ، وأثارَ أسئلةً كثيرةً في ماهيةِ الموتِ وماهية الحياةِ، وأنتجَ أساطيرَ عدةً أودعَها تساؤلاتهِ، ورغباتهِ في قهرِ الموتِ، والخلودِ في الدُّنيا، ومِن بينها مَلحمةُ جلجامش، وهيَ من أقدمِ الملاحمِ عبرَ العصورِ التاريخيةِ.

وقد حملتِ الصِّراعَ بينَ الموتِ والزَّوالِ مِن جهةٍ وعزيمةِ الإنسانِ الباحثةِ عنِ الخلودِ مِن جهةٍ أخرى، والمَلحمةُ تؤكِّدُ حتميةَ الموتِ، وتثبتُ عجزَ الإنسانِ عن تحقيقِ الخلودِ[1]، وهذا ما عبّرَ عنهُ جلجامش في أثناءِ حديثهِ مع صاحبةِ الحانةِ سدوري عنِ الخوفِ منَ الموتِ الذي صارَ يلاحقهُ، فتؤكدُ لهُ أنَّ الموتَ حقيقةٌ ملازمةٌ للحياةِ وأنَّهُ نهايةٌ لها، وهو قدَرٌ فرضتهُ الآلهةُ على الإنسانِ منذُ اللحظاتِ الأولى للخليقةِ[2]، ومما وردَ في المَلحَمةِ:

إنه أنكيدو صاحبي وخلي الذي أحببته حبًا جما

لقد انتهى إلى ما يصير إليه البشر جميعًا

فبكيته في المساء وفي النهار

ندبته ستة أيام وسبع ليال

معللًا نفسي بأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي

وامتنعت عن تسليمه إلى القبر

أبقيته ستة أيام وسبع ليال حتى تجمع الدود على وجهه

فأفزعني الموت حتى همت على وجهي في الصحاري

إن النازلة التي حلت بصاحبي تقض مضجعي

آه! لقد غدا صاحبي الذي أحببت ترابًا

وأنا، سأضطجع مثله فلا اقوم أبد الآبدين

---

[1] ينظر: باقر، طه: **ملحمة كلكامش: أوديسة العراق الخالدة**، وزارة الإعلام، بغداد، 1975، ص11.

[2] ينظر: هلال، هيثم: **أساطير من العالم**، دار المعرفة، بيروت، 2004، ص232.

فيا صاحبة الحانة، وأنا أنظر إلى وجهك

أيكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه؟[1]

وجلجامش الذي سعى إلى الخلودِ وأفنى حياتهُ في البحثِ عنهُ، أدركَ أن لا سبيلَ إليهِ، واعترفَ بذلكَ يقينًا، ولكنَّ فكرةَ الخلودِ ما زالت مسيطرةً عليهِ، لذلكَ حاولَ أن يجدَ تفسيرًا آخرَ للخلودِ غير خلودِ الجسدِ، فعدَّ خلودَ الذِّكرِ خلودًا للإنسانِ، يقول:

دعنِي إذن أتقدَّمُ قبلكَ، ولينادنِي صوتُكَ

تقدَّم! ولا تخف!

وإذا ما هلكتُ فسأخلِّدُ لي اسمًا، وسيقولونَ عنّي فيما بعدُ

لقد هلكَ جلجامش في النِّزالِ معَ خمبابا، المارد[2]

واعتقدوا قديمًا أنَّ الماءَ يشكِّلُ عنصريِّ الحياةِ والموتِ، فهوَ رمزٌ لبدايةِ الكونِ ونهايتهِ، وهوَ الوسيلةُ التي بحثَ فيها الإنسانُ القديمُ عنِ التجدُّدِ والخلودِ[3].

وهذا ما وردَ في حوارٍ بينَ إلهِ الخلقِ المصريِّ "اتوم" المتوفَّى، يقولُ فيهِ: "**إنَّ مصيركَ ملايين الأعوامِ، فترة حياةِ ملايين الأعوامِ، لكنّي سوفَ أدمِّرُ كلَّ ما خلقتهُ، وستعودُ هذهِ البلادُ إلى حالةِ النُّونِ، حالةِ المياهِ مثل حالتِها الأولى**"[4].

وأمّا الإنسانُ الجاهليُّ، فأحسَّ بهاجسِ الموتِ، مثلما أحسَّت بهِ الشعوبُ مِن قبلهِ، إلا أنَّ إحساسهُ فاقَ غيرهُ، ووصلَ درجةَ العنفِ، وذلكَ مردَّهُ إلى قسوةِ الحياةِ، وخللٍ في النِّظامِ الاقتصاديِّ، حيثُ المطرُ القليلُ، والصِّراعاتُ بينَ القبائلِ، والمرعى السَّريعُ الفناء، والجاهليُّ مهدَّدٌ

---

[1] باقر، طه: **ملحمة كلكامش: أوديسة العراق الخالدة**، ص78-79.

[2] نفسه: ص53.

[3] ينظر: الديك، إحسان: ***البئر بوابة العالم السفلي في الشعر الجاهلي***، دراسات، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، م(36)، الجامعة الأردنية، الأردن، 2009، ص33.

[4] عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط1، دار ابن خلدون، بيروت، 1978، ص191.

بالموتِ وقِصَرِ حياتهِ، فإن حصلَ في موسمٍ مِنَ المواسمِ على قُوتِهِ، فقد لا يحصلُ عليهِ في مواسمَ أخرى[1].

وقد عبَّرَ الشّاعرُ الجاهليُّ عنِ الحياةِ والموتِ في ثلاثِ طرقٍ، أوَّلُها إقناعُ نفسهِ بحتميةِ الموتِ، وثانيها الهروبُ منهُ إلى ملذَّاتِ الحياةِ، وآخرُها تحدّيهِ للموتِ[2].

والشِّعرُ الجاهليُّ يزخرُ بمعانٍ وألفاظٍ جمَّةٍ متعلقةٍ بالحياةِ والموتِ، تجسِّدُ رؤيةَ الشّاعرِ، ومن بينِ النصوصِ، ما قالهُ طرفةُ بن العبدِ عنِ الفناءِ واللاخلودِ، فحياةُ المرءِ كنزٌ ناقصٌ، والموتُ آتٍ على الناسِ كلِّهم، فلا مفرَّ منَ الهروبِ منهُ، وإن أغفلَ الموتُ بعضَهم وأطالَ عمرهم، فإنهم لا يستطيعونَ الإفلاتَ من جبروتهِ وسلطتهِ، يقولُ:

أرى العيش كنزًا ناقصًا كل ليلة وما تَنقُصِ الأيّامُ والدّهرُ يَنفَدِ
لعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى لَكالطِّوَلِ المُرخى وثِنياهُ باليَدِ[3]

وحينما ظهرَ الإسلامُ تكشَّفَت قضيَّةُ الحياةِ والموتِ، فوضَّحها اللهُ عزَّ وجلَّ في مواضعَ كثيرةٍ في القرآنِ الكريمِ، ومنها: ﴿ **كُلُّ نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَإِنَّما تُوَفَّونَ أُجُورَكُم يَومَ القِيامَةِ فَمَن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ وَمَا الحَياةُ الدُّنيا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ**﴾[4].

وأكَّدَ أنَّ الحياةَ بنعيمِها وترفِها فانيةٌ، وكلُ إنسانٍ مهما طالَ أمدهُ فمآلهُ الزوالُ، لذلكَ أضحى البحثُ عنِ الخلودِ شيئًا مختلفًا عمّا هوَ عندَ الإنسانِ الجاهليِّ، فالحياةُ الدُّنيا هيَ التي تبقيهِ مخلدًا في آخرتهِ، وهذا مقترنٌ بأعمالهِ، فإن كانت خيرًا يخلِّدهُ اللهُ في جنَّتهِ، وإن شرًا فخلودهُ في النّارِ.

---

[1] ينظر: النويهي، محمد: **الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه**، ج1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص419-420.

[2] ينظر: قاسم، باسم إدريس: ***الشّاعر الجاهلي والوجود: دراسة فلسفية ظاهراتية***، **مجلة المستقبل العربي**، بيروت، العدد (423)، 2014، ص62-63.

[3] طرفة بن العبد: **الديوان**، ط2، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص26. الطِّوَلُ: الحَبلُ الطويلُ جدًّا، ينظر: **لسان العرب**، مادة طول.

[4] سورة آل عمران: 185.

وكانَ للخنساءِ نظرةٌ للحياةِ والموتِ بعدَ إسلامِها، فانتقلت مِن حياةٍ يملؤُها الثأرُ والجزعُ إلى حياةٍ تغمرُها نفسٌ مؤمنةٌ هادئةٌ مطمئنةٌ إلى قدرِ الموتِ المحتومِ، وذلكَ حينما تحوَّلَ الموتُ مِن مقتلٍ إلى استشهادِ[1]، وهذا ما عبَّرت عنهُ في رثاءِ أولادِها الأربعةِ، تقولُ:

فَباكِرُوا الحربَ حُماةً في العَدَد ... إمّا لفوزٍ بارِدٍ عان الكَبِد
أو ميتةٍ تُورثكم غنمَ الأبد ... في جنَّةِ الفردوسِ والعيشِ الرَّغَد[2]

وللحياةِ والموتِ حضورٌ عندَ شعراءِ بني أميَّةَ، ومنهم عيسى بنُ فاتكِ الحبطيِّ، وهوَ أحدُ شعراءِ الخوارجِ فترةَ حكمِ معاوية ويزيد، وقد كانَ إذا أرادَ الذَّهابَ للقتالِ خشيَ على نفسهِ مِنَ الموتِ فتتعلقُ بناتهُ بهِ فيقيمُ[3]، وما يدلُّ على ذلكَ قولهُ:

لقد زادَ الحياةَ إليَّ حُبًا ... بناتِي إنَّهنَّ مِنَ الضِعافِ
مخافةَ أن يرينَ البؤسَ بعدِي ... وأن يَشرَبنَ رنقًا غيرَ صافِ
أبانَا مَن لنا إن غِبتَ عنّا ... وصارَ الحيُّ بعدكَ باختلافِ؟[4]

وليسَ الأمرُ بعيدًا عمّا هوَ عليهِ في العصرِ العبّاسيِّ، فأخذت رقعةُ الحديثِ عنِ الحياةِ والموتِ تتسعُ شيئًا فشيئًا، وذلكَ معَ انتشارِ اللهوِ والمجونِ، والغزلِ بالغلمانِ، وأصبحتِ الخمرياتُ ظاهرةً مستقلةً بذاتها، وتوافدتِ الثَّقافاتُ الفارسيةُ واليونانيةُ، وانتشرتِ الحروبُ والفتنُ، ما دفعَ الشُّعراءَ إلى التَّأمُّلِ بالحياةِ والموتِ تأمُّلًا عميقًا في موضوعاتِهم الشِّعريَّةِ.

ولعلَّ الوضعَ النَّفسيَّ الذي يعيشهُ الشّاعرُ هوَ سيِّدُ الموقفِ في نظرتهِ للحياةِ والموتِ، فقد تتغيرُ رؤيتهُ وموقفهُ طرديًا معَ حالتهِ النَّفسيَّةِ، ونجدُ في أبي الطيِّبِ المتنبِّي خيرَ مثالٍ على ذلكَ، فعندما اتَّصلَ بالقرامطةِ في صباهُ وعاشرهم نَهَلَ مِن آرائهم تجاهَ الحياةِ والموتِ، فالقرامطةُ يمجِّدونَ القوةَ والحربَ، ويعتزونَ بالموتِ في سبيلِ الثَّورةِ، والمتنبِّي عندما اصطبغَ بصبغَتِهم جسَّد هذهِ الأفكارَ في شعرهِ، فقالَ:

---

(1) ينظر: خليف، مي يوسف: **الشعر النسائي في أدبنا القديم**، دار غريب للطباعة، القاهرة، ص97.

(2) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، ط1، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج244/10.

(3) الزير، محمد بن حسن: **الحياة والموت في الشعر الأموي**، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، 1989، ص69.

(4) عباس، إحسان: **شعر الخوارج**، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1974، ص57-58.

إلـى أيِّ حـينٍ أنـتَ فـي زِيِّ مُحـرِمِ؟ وَحتَّـى مَتـى فـي شِـقوَةٍ وَإلـى كَـمِ؟
وَإن لا تَمُـت تَحـتَ السُّـيوفِ مكرَّمًـا تَمُـت وَتُقاسِـي الـذُّلَّ غَيـرَ مُكَـرَّمِ
فَثِـب واثِقًـا بـاللهِ وِثبَـةَ ماجِـدٍ يرى الموتَ في الهيجا جنَى النَّحلِ في الفَمِ[1]

والمتنبِّي في ذاكَ الوقتِ كانَ يدعو إلى الثورةِ؛ لإصلاحِ النِّظامِ السِّياسيِّ والاجتماعيِّ، بينما يجدُ الباحثُ موقفًا مغايرًا للشّاعرِ نفسهِ بعدَ خروجهِ مِن بلاطِ سيفِ الدَّولةِ متوجِّهًا إلى مصرَ؛ ليلتقيَ كافورَ الإخشيدي، وفي هذهِ الفترةِ كانَ المتنبِّي مندفعًا نحوَ الحياةِ متمسكًا بها، يطلبُ أن يُعطى إمارةً طَمِعَ بِها مِن كافورِ الإخشيديِّ، وهذهِ الحالةُ النَّفسيَّةُ التي عاشها عندَ كافور متشبثًا بِها في الحياةِ،طالبًا للحُكمِ مِن أجلِ الحُكمِ والسُّلطَةِ، فلم يكن يُعنى بإصلاحِ النِّظامِ السِّياسيِّ أو الاجتماعيِّ، وإنَّما طلبَ الحكمَ لذاتِهِ[2]، ومِن هُنا وجدَ الباحثُ أنَّ رؤيةَ الشّاعرِ تجاهَ الموتِ تغيَّرت طِبقًا لحالتهِ النَّفسيةِ، فيرى أنَّ الموتَ أو مُجرَّدَ التَّفكيرِ فيهِ هوُ داءٌ يصيبُ الإنسانَ، فقالَ في القصيدةِ التي مدحَ بِها كافورَ الإخشيدي:

كفى بكَ داءً أن ترَى الموتَ شافِيا وَحَسـبُ المَنايـا أن يكُـنَّ أمانِيـا
تَمَنَّيتَهـا لمّـا تَمَنَّيـتَ أن تـرَى صَـديقًا فأعيـا أو عَـدُوًا مُـداجِيا[3]

فالحالةُ النَّفسيَّةُ التي عاشَها المتنبِّي عندَ القرامطةِ حتَّمت عليهِ أن يرى الموتَ عسلًا يَغدِقُ منهُ الإنسانُ مفتخرًا بهِ، بينما عندما طلبت نفسُهُ الحياةَ لذاتِها وفقًا لحالتهِ النَّفسيَّةِ، نفرَ مِنَ الموتِ وتشبَّثَ بالحياةِ بكلِّ ما أوتيَ مِن عزيمةِ الحياةِ.

وقد أعطى المعرّي الحياةَ صورةً سلبيةً، ونظرَ إليها نظرةَ السّاخطِ الكارهِ، وخلعَ عليها صفةَ العفنِ وكدارةِ العيشِ، وبالمقابلِ أعطى الموتَ صورةً إيجابيةً، وخلعَ عليهِ صفةَ النَّقاءِ، والطَّهارةِ، وصوَّرهُ بشرابٍ طيِّبِ المذاقِ، تمنَّى أن ينهلَ منهُ، ليقرِّبَ بينهُ وبينَ الأحبَّةِ، يقولُ:

---

(1) المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي: **الديوان، بشرح أبي البقاء العكبري**، ضبط وتصحيح مصطفى السقا، وإبراهيم البياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1936، 4/33-34.

(2) ينظر: حسين، طه: **مع المتنبي**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص242-243.

(3) المتنبي، أبو الطيب: **الديوان**، ص281-282.

تقـــواكَ زادٌ فاعتقـــد أنَّـــهُ ... أفضـــلُ مـــا أودعتَـــهُ فـــي السِّـــقاءِ

آهٍ غـــدًا مِـــن عَـــرَقٍ نـــازلٍ ... ومُهجـــــةٍ مولعـــــةٍ بارتِقـــــاءِ

ثـــوبيَ محتـــاجٌ إلـــى غاســـلٍ ... وليـــتَ قلبـــي مثلَـــهُ فـــي النَّقـــاءِ

مـــوتٌ يســـيرٌ، معـــهُ رحمـــةٌ ... خيـــرٌ مِـــنَ اليُســـر وطـــولِ البَقـــاءِ

وقـــد بلونـــا العـــيشُ أطـــوارَهُ ... فمـــا وجـــدنا فيـــهِ غيـــرَ الشَّـــقاءِ

تقـــدَّم النـــاسُ فيـــا شـــوقنا ... إلـــى اتّبـــاعِ الأهـــلِ والأصـــدقاءِ

مـــا أطيـــبَ المـــوتَ لشُـــرَّابِهِ ... إن صَـــحَّ للأمـــواتِ وَشـــكُ التقـــاءِ[1]

وأمّا ابنُ الروميِّ(قيدُ الدِّراسةِ)، فقد رماهُ الزَّمنُ بمصائِبَ جمَّةٍ، تارةً في موتِ أهلهِ وأقربائهِ، وتارةً أخرى في العللِ التي كدَّرت صفوَ حياتهِ، واحتقارِ النّاسِ لهُ، والحطِّ مِن شأنهِ، جعلهُ ذلكَ منعزلًا عنِ الدُّنيا متطيِّرًا، ساخرًا، هجَّاءً، يهربُ النّاسُ مِن لسانهِ المقذِعِ، وهوُ كغيرهِ مِنَ الشُّعراءِ الذينَ نظروا إلى الحياةِ والموتِ، ونظرًا لمكانتهِ وتقلُّبِ الحوادثِ عليهِ؛ فإنَّ الباحثَ وجدَ مادةً خصبةً في نظرتهِ للحياةِ والموتِ مِن خلالِ شعرهِ، وسيحاولُ الباحثُ تقصِّي هذهِ النَّظرةَ في مباحثِ الرِّسالةِ بشيءٍ مِنَ التَّفصيلِ.

[1] المعري، أبو العلاء: **اللزوميات**، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ص59.

الفَصلُ الأَوَّلُ

مَفهومُ الحَياةِ والمَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ

المَبحَثُ الأَوَّلُ: مَفهومُ الحَياةِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ.

أَوَّلًا: ذَمُّ الحَياةِ والعُزوفُ عَنها.

ثانِيًا: التَّشَبُّثُ بِالحَياةِ وحُبُّهُ لَها.

أ- الشَّبابُ.

ب-الطَّبيعَةُ.

ت-الحَياةُ الماجِنَةُ.

المَبحَثُ الثّاني: مَفهومُ المَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ.

أَوَّلًا: المُعتَقَدُ المذهبيُّ.

ثانِيًا: أَحَقِّيَّةُ المَوتِ.

ثالِثًا: القَلَقُ.

أ- القَلَقُ مِنَ الطَّبيعَةِ.

ب-القَلَقُ مِنَ البشَرِ.

ت-القَلَقُ مِن فُقدانِ الشَّبابِ.

رابِعًا: الخُطوبُ.

تأسيسٌ

لا بدَّ مِنَ التعريجِ على محطّاتٍ وجيزةٍ مِن حياةِ الشّاعرِ؛ لتجلِّيَةِ رؤيتهُ في الحياةِ والموتِ، فابنُ الروميِّ هوَ عليُّ بنُ العبَّاسِ بنُ جريجٍ أو جورجيس، ولقبهُ الذي عُرفَ بهِ وشُهرَ، هوَ ابنُ الروميِّ، وهَو مولى عبدِ اللهِ بنِ عيسى بنِ منصورٍ، ويرجعُ أصلهُ إلى العنصرِ اليونانيِّ، وهوَ روميٌّ مِن جهةِ الأبِ وفارسيٌّ مِن جهةِ الأمِّ، ولدَ سنةَ 221هـ في بغدادَ[1]، وشهِدَ تقلباتٍ سياسيةً واجتماعيةً في حياتهِ، كظهورِ الفكرِ الاعتزاليِّ والفلسفةِ واتجاهِ العلماءِ إلى الكلامِ، واتَّصلَ بالخلفاءِ والوزراءِ، وقد عاشَ ابنُ الروميِّ حياتهُ مضطربًا، فتارةً ينتشي بنشوةِ الحياةِ وملذّاتها، وتارةً أخرى يَغُمُّ عليهِ الحزنُ فيبدو تعيسًا، متشائمًا، متطيِّرًا، ضئيلًا حظُّهُ بينَ أتباعهِ، أحسَّ بالواقعِ التَّعيسِ في حياةٍ تَغمُرُها البهجةُ والسُّرورُ[2].

ومِن هُنا، لا بدَّ مِن طرحِ تساؤلاتٍ والوقوفِ عليها؛ لتوضيحِ رؤيةِ الشّاعرِ في الحياةِ والموتِ، والكشفِ عمّا يدورُ بداخلهِ مِن لواعجَ واضطراباتٍ، جعلت هذهِ النَّظرةَ تتخمَّرُ في عقلهِ، وتُصبُّ في قالبٍ شِعريٍّ متعددةٍ أغراضهُ، وتتمحورُ هذهِ التَّساؤلاتُ فيما يأتي: كيفَ نظرَ الشّاعرُ إلى الحياةِ والموتِ؟ وكيفَ رأى الظَّواهرَ مِن حولهِ؟ وهل تشبَّثَ ابنُ الروميِّ بالحياةِ؟

---

[1] ينظر مصادر ومراجع ترجمته: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، ص358.

والمعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران ومعها نص محقق لرسالة ابن القارح**، تحقيق عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، ط9، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص476.

والمرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى: **معجم الشعراء**، تحقيق فاروق اسليم، ط1، دار صادر، بيروت، 2005، ص183.

والعقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، القاهرة، 2012، ص65-68.

وضيف، شوقي: **العصر العباسي الثاني**، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص296-298.

وأبو زيد: سامي يوسف: **الأدب العباسي الشعر**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ص223-224.

[2] ينظر: سلام، محمد زغلول: **دراسات في الأدب العربي**، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1976، ص310-312.

المَبحَثُ الأَوَّلُ

مَفهومُ الحَياةِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ

لقد اختلفت آراءُ النُّقادِ والباحثينَ في حياةِ ابنِ الروميِّ ومسالكهِ وطبيعتهِ، وانقسموا إلى فريقينِ: الأوَّلُ يرى أنَّ ابنَ الروميِّ كانَ مُحبًّا للحياةِ متعلِّقًا بها، ومِن أنصارِ هذا الرَّأيِ: عبَّاس محمود العقّاد، حيثُ كشفَ عن رؤيةِ ابنِ الروميِّ للحياةِ، وذلكَ في قولهِ: "فابنُ الروميِّ كانَ مِن أخلصِ محبّي الحياةِ بينَ محبّيها الكثيرينَ، أو كانَ –على الأصحِّ الأوضحِ– مِن مُدمني الحياةِ بينَ شرّابِها غيرِ المدمنينَ"[1]، ويقولُ في موضعٍ آخرَ: "ابنُ الروميِّ صاحبُ عبقريَّةٍ تعبدُ الحياةَ، وتحيا معَ الطَّبيعةِ، وتلتقطُ الصُّورَ والأشكالَ، وتشخِّصُ المعاني، وتقدِّمُ الجمالَ على الخيرِ، أو لا تُحِبُّ الخيرَ إلّا لأنَّهُ لونٌ مِن ألوانِ الجمالِ..."[2].

ويشاطرُ طهَ حُسين العقّادَ في حبِّ ابنِ الروميِّ للحياةِ ونهمهِ بها، فيقولُ: "كانَ اضطرابُ مزاجهِ يبغضُ فيهِ النّاسَ ويسيءُ رأيهُ فيهم، ولكنَّ قوَّةَ حسِّهِ ورِقَّةَ طبعهِ كانت تُحبِّبُ إليهِ كلَّ اللذاتِ، فكانَ يجمعُ بينَ الخِصلتينِ، فهوَ رجلٌ يحبُّ اللذَّةَ ويسرفُ فيها ويتهالكُ عليها، فهوَ إذن محبٌّ للحياةِ أشدَّ الحبِّ، وهوَ في الوقتِ نفسهِ مبغضٌ للأحياءِ قبيحُ الرأيِ فيهم، يتبرَّمُ بهم أشدَّ التَبَرُمِ، ويودُّ لو استطاعَ أن يتخلصَ منهم"[3]، إلّا أنَّهُ سرعانَ ما غلبت عليهِ الحيرةُ والتَّردُدُ في الرأيِ، فيقولُ: "أمّا الأحياءُ فكانوا يبغضونهُ كما كانَ يُبغضُهم، وأمّا الحياةُ فلستُ أدري أكانت تحبَّهُ أم كانت تُبغضهُ، ولكنَّ الشَّيءَ الذي لا شكَّ فيهِ أنَّهُ أخذَ مِنَ اللَّذاتِ بحظٍ لا بأسَ بهِ، ولعلَّهُ أسرفَ في ذلكَ، فضاعَفَ ما كانَ يجدهُ مِن ألمٍ، وضاعَفَ ما كانَ في أعصابهِ مِن اضطرابٍ وفي مزاجهِ مِن فسادٍ"[4].

---

(1) العقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، القاهرة، 2012، ص215.

(2) نفسه، ص214.

(3) حسين، طه: **من حديث الشعر والنثر**، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، القاهرة، 2012، ص128.

(4) نفسه، ص128.

ومِن مؤيِّدي هذا الرَّأيِّ نازك سابا يارد الذي يقولُ: "كانَ يحبُّ الحياةَ في كلِّ مظاهرِها، ينصرفُ إليها بكلِّ جوارحهِ، والحياةُ في رأيهِ تُرادفُ اللَّذةَ"[1]، ويفنِّدُ سببَ هذا الحبِّ الشَّديدِ للحياةِ بقولهِ: "وربَّما كانَ مِن أسبابِ انغماسهِ في اللَّذةِ أيضًا رغبتهُ في أن ينسى مصائبَ الحياةِ"[2].

ويتَّفقُ أنيسُ المقدسيّ معَ سابقيهِ في موقفهِ مِن نظرةِ ابنِ الروميِّ للحياةِ، يقولُ: "فهوَ شغوفٌ بالحياةِ لأجلِ الحياةِ يحبُّ أن يعيشَ وأن يعيشَ قويًّا ليتمتَّعَ بجمالِها وأطايبِها..."[3]، ويقولُ: "ولعلَّ شعورَهُ بالحرمانِ وبسوءِ الحالِ كانَ يزيدُ فيهِ هذا الشَّغفَ وهذهِ الشَّهوةَ الحيوانيَّةَ القويَّةَ..."[4].

ويناصفهم مارون عبّود الرَّأيَ، يقولُ: "إنَّ ابنَ الروميِّ على إملاقهِ وعدمهِ يحبُّ الحياةَ، ولا تُحدِّثهُ نفسهُ بالرَّحيلِ، هوَ مقيمٌ برغمِ أنفِ الكوارثِ والدّواهي..."[5].

ويناصرهم حنّا الفاخوري الرَّأيَ، يقولُ: "كانَ ابنُ الروميِّ يحبُّ الحياةَ، والحياةُ في نظرهِ متحفٌ مِن متاحفِ الجمالِ، وموضعُ متعةٍ، بل هيَ تفاعلٌ حِسيٌّ بينهُ وبينَ الوجودِ..."[6].

وتساندهم صفيَّة السُّوداني الرَّأيَ، تقولُ: "ابنُ الروميِّ كانَ طفلًا كبيرًا أمامَ الحياةِ بكلِّ صورِها، وقد ظلَّ يزدادُ تعلُّقًا بها كلَّما ازدادت نُفورًا منهُ ويُسرفُ في انتزاعِ أبسطِ متعها كلَّما أسرفت في جحودِها وتقتيرِها"[7].

أمّا الفريقُ الثّاني، فيرى أنَّ ابنَ الروميِّ نقيضُ ذلكَ، فقد كانَ كارهًا للحياةِ، منخلعًا منها، ومِن أنصارِ هذا الرَّأيِ المازنيّ، يقولُ: "عاشَ ابنُ الروميِّ ما عاشَ ساخطًا على الحياةِ، ناقمًا على العصرِ وأبنائهِ، مضطغنًا على الزَّمنِ وصروفهِ، طافحَ النَّفسِ بالمرارةِ والألمِ إلى حدٍّ لم يعرفهُ

---

[1] يارد، نازك سابا: **ابن الرومي شاعر الحس والعاطفة والخيال**، ط1، بيت الحكمة، بيروت، 1969، ص37.

[2] نفسه، ص37.

[3] المقدسي، أنيس: **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 1989، ص295.

[4] نفسه، ص295.

[5] عبود، مارون: **الرؤوس**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص125.

[6] الفاخوري، حنّا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم**، ط2، دار الجيل، بيروت، 1995، ص763.

[7] السوداني، صفيَّة عبد القادر إسماعيل: **الوصف في شعر ابن الرومي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، 1985م، ص345.

أحدٌ مِنَ الشُّعراءِ المعاصرينَ. وشعرهُ الذي قيَّدَ فيهِ كلَّ حالةٍ مِن حالاتِ نفسهِ، وأودعهُ ما استطاعَ مِنَ التفاتاتٍ ذهنيَّةٍ، حافلٌ بالشَّواهدِ على ذلكَ"[1].

ويعرضُ علي علي صبح رؤيةَ ابنِ الروميِّ للحياةِ، مفندًا هروبهُ إلى ملذاتِها، يقولُ: "والنَّهمُ الذي أصابهُ نتيجةً لكرههِ للحياةِ، وعوضًا عن ذلكَ الكرهِ، أو سدًّا لخللٍ في جسمهِ، ليسَ مقصودًا لذاتهِ، ولا هوَ يحبُّهُ ويهواهُ، وإنَّما هوَ لهوٌ فقط، وشيءٌ يُشغلهُ ويصرفُ نظرهُ قليلًا عن نظارتهِ السَّوداءِ..."[2].

ويقتربُ عمر فروخ مِن سابقيهِ في كرهِ ابنِ الروميِّ للحياةِ، إلّا أنَّ هذهِ النظرةَ بدأت ترتسمُ على وجههِ حينما أحسَّ بتقدُّمِ السنِّ فيقولُ: "لمّا تقدمتِ السنُّ بابنِ الروميِّ تبدَّلَ نظرهُ إلى الحياةِ، ولكن بعدَ أن بدأتِ الحياةُ نفسُها تعرضُ عنهُ، بدأَ ابنُ الروميِّ حياتَهُ بكثيرٍ مِنَ الجدِّ والرزانةِ ومِنَ التصلُّبِ في مقاييسِ السُّلوكِ وآدابِ المعاشرِ إلى حدِّ النُّفورِ مِنَ النّاسِ والسُخطِ عليهم..."[3].

فهذهِ الآراءُ تبيِّنُ أنَّ فئةً قليلةً رأت فيهِ صورةَ الشّاعرِ المتشائمِ السّوداويِّ الكارهِ للحياةِ، الهاربِ إلى ملذّاتِ الدُّنيا، لا شغفًا بِها، بل سِترًا للعيوبِ التي تكمنُ بداخلهِ، وثمَّةَ فئةٌ كثيرةٌ نظرت إليهِ نظرةَ المتلهفِ، المتعَبِّدِ للحياةِ، وهوَ الذي أرادَ أن تسكنَ الحياةُ فيهِ، لتمحوَ ما ألمَّ بهِ مِن رزءٍ شديدٍ.

وانطلاقًا مما سبقَ، سيسلِّطُ الباحثُ الضَّوءَ على مفهومِ الحياةِ عندَ ابنِ الروميِّ؛ ولوجًا إلى عالمِه، تبيانًا لرأيهِ فيها، فهل كانَ ابنُ الروميِّ حقًا متمسِّكًا بالحياةِ أم كانَ عازفًا عنها؟

وسيقسمُ الباحثُ هذا المبحثَ إلى قسمينِ، الأوَّلُ سيتناولُ ذمَّ الحياةِ والعزوفَ عنها، والثّاني سيعالجُ التشبُّثَ بالحياةِ وحبَّهُ لها، وذلكَ بالقراءةِ الفاحصةِ لشعرهِ.

---

[1] المازني، إبراهيم عبد القادر: **حصاد الهشيم**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص233.

[2] صبح، علي علي: **عبقرية ابن الرومي**، مطبعة الأمانة، مصر، 1975، ص88.

[3] فرّوخ، عمر: **دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، ابن الرومي، علي ابن العباس بن جريح**، ط2، منشورات مكتبة ميمنة، بيروت، 1949، ص13-14.

أَوَّلًا: ذَمُّ الحَياةِ والعُزوفُ عَنها:

الحياةُ "ينبوعٌ للفرحِ والهمِّ، واللَّذةِ والمعرفةِ، والحسِّ والحركةِ، لا تمامَ للإنسانِ إلّا بها، ولا قوامَ إلّا معها"[1]، فالإنسانُ قد يصطدمُ في حياتهِ باضطراباتٍ نفسيَّةٍ أو فسيلوجيَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ أو سياسيَّةٍ، تؤدّي بهِ أحيانًا إلى أن يكرهَ ما حولهُ، ولكنَّ الدّائرةَ قد تتسعُ بهِ؛ ليكرهَ الحياةَ بكلِّ ما فيها، ولا شكَّ في أنَّ الاضطراباتِ التي تفضي بالإنسانِ إلى أن يكرهَ الشَّيءَ الذي يمثِّلُ جوهرهُ وهوَ الحياةُ، تكونُ قدِ استحكمت حلقاتها فيهِ، ما أدّى بهِ إلى ذمِّ الحياةِ والعزوفِ عنها، وفي هذا الصَّددِ يقفُ الباحثُ على ذمِّ ابنِ الروميِّ للحياةِ، ممحصًا ومبينًا ومؤولًا، اعتمادًا على شعرِ ابنِ الروميِّ، رابطًا ذمَّ الحياةِ بمعادلاتِها الموضوعيَّةِ.

يوجِّهُ الشّاعرُ سخطهُ للحياةِ المرتبطةِ ارتباطًا وثيقًا بالبشرِ الذينَ يشكلون لديه عداءً جمعيًا، فقد لوَّثوها وعكَّروا صفوها بظلمهم وقهرهم وتسلُّطهم، وعاشوا برفاهيةٍ وسعادةٍ، وتركوا غيرهم يعيشونَ بتعاسةٍ وشقاءٍ، فخلعَ عليهم صورًا سلبيةً، فصوَّرهم بالجيفةِ التي تعلو على بحرٍ هائجٍ، وبالغاشِّ الذي يُنقصُ مِنَ المكيالِ، يقولُ:

هــيَ دُنيــا طَفــوا عليهــا وإن قــا ... لـــوا: علونـــا بـــالظَّنِ والحُســـبانِ
مـا عـلا مَـن طفـا كمـا طفـتِ الجيـ ... ـــفةُ فـــي لُجَّـــةٍ مِـــنَ الطَّوفـــانِ
أو كما شالَ ناقصُ الوزنِ فـي الميـ ... ـــزانِ وانحـــطَّ عنـــهُ ذو رجحـــانِ
لـــو صـــفا عيشُـــها فأســـعدَ حيـــا ... لكمـــــالٍ وحكمـــــةٍ وبيـــــانِ
كنـتَ مِـن بؤسِـها سـتحيا سـليمًا ... عـــاليَ القـــدرِ أيِّـــد الأركـــانِ[2]

وتجلَّت نظرتهُ للحياةِ القاسيةِ في صرخةِ المولودِ المطلِّ على حياةٍ يغمرُها الضَّبابُ السَّوداويُّ، ولا يخفَى في أنَّ الشّاعِرَ قد استلَّ هذهِ الصورةَ مِن واقعِ مجتمعهِ؛ ليعبِّرَ عن حالتهِ النفسيَّةِ السيِّئةِ التي سببَها أهلُ زمانهِ، يقولُ:

لِمـا تُـؤذنُ الـدُّنيا بـهِ مِـن صُـروفِها ... يكـــونُ بكـــاءُ الطِّفـــلِ ســـاعةَ يُولَـــدُ

---

[1] التوحيدي، أبو حيان: **المقابسات**، ط2، تحقيق وشرح حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، الكويت، 1992، ص234.

[2] ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح: **الديوان**، تحقيق حسين نصار، ط3، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2003، 2550/6.

وإلا فمـــا يُبكيـــهِ منهـــا وإنَّهـــا لأفسَـــحُ ممـــا كـــانَ فيـــهِ وأرغَـــدُ
إذا أبصَـــرَ الـــدُّنيا اســـتَهَلَّ كأنَّـــهُ بمـــا ســـوفَ يلقَـــى مِـــن أذاهـــا يُهَـــدَّدُ[1]

والحالةُ النفسيَّةُ التي يعيشها حتَّمت عليهِ ذمَّ الحياةِ، وتمجيدَ الحسدِ، ورأى فيهِ نتيجةً منطقيَّةً وفعلًا مبررًا لا يجبُ أن يحاسبَ الإنسانُ عليهِ، ذلكَ أنَّ قسوةَ الدُّنيا على هذا الحاسدِ ومنعهِ مِنَ التَّمتُّعِ بها جعلتهُ يقاسي شظفَ العيشِ، ما أفضى بهِ إلى الحسدِ، يقولُ:

أيُّ شـــيءٍ يكابـدُ الطِّفـلُ فـي الدُّنـ ـــيا؟ لأمـــرٍ مـــا يســـتهلُّ الوليـــدُ!
لا تلـــومنَّ حاســـدًا، أَلَـــمُ النَّفـــ ـسِ مِـن الـبخسِ- يـا أخَـيَّ- شـديدُ[2]

وينظرُ الشّاعرُ إلى الحياةِ بمنظارٍ أسودٍ، فتارةً يرى فيها الموتَ، والشرَّ، والمرضَ، والخيانةَ، والفسادَ، وتارةً أخرى يرى فيها تلكَ الحياةَ التي تغري الإنسانَ، وتخدعهُ بملذّاتها؛ فيتهاوى عليها، كما يتهاوى الذُّبابُ على العسلِ، ويعدُّها أمًّا على الرَّغمِ مِن عداوتِها لهُ، يقولُ:

تَرحَـــــا لـــــدارٍ إنَّمـــــا سُـــــكَّانُها رُفَـــــقٌ مُخِبَّـــــه[3]
تقتـــــادُهم نحـــــوَ الـــــرَّدى طُـــــرُقٌ إليـــــهِ مُســـــتتبَّه
دارٌ غريـــــــبٌ خيرُهـــــــا وتـــرى الشـــرورَ بهـــا مُربَّـــه[4]
أدوَت وغـــــــابَ دَواؤُهـــــــا عـــن كـــلِّ نفـــسٍ مُســـتطبَّه
وصَـــــفَت محبـــــةُ أهلهـــــا منهـــــا لمُدغِلـــــةٍ مُضِـــــبَّه[5]
نـــــاموا علـــــى صَـــــيحاتِها بهـــــمُ الشـــــدادِ المُســـــتهبَّه[6]
كـــــم غـــــرَّ قومًـــــا حُلوُهـــــا مِـــــن مُرِّهـــــا إلا الألِبَّـــــه[7]
فتهـــــافتوا فـــــي شُـــــهدِها فتهـــــالكوا مثـــــل الأذِبَّـــــه[8]
مـــــا آنـــــسَ الإنســـــانَ بالـــــ ـــــدُنيا الـــــدَّبوبِ لـــــه المُدبَّـــــه[9]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 586/2.

[2] نفسه، 778/2.

[3] مخبّة: خادعة، ينظر: **لسان العرب**، مادة خبب.

[4] مُربّة: المحلّ، أو مكان الإقامة، ينظر: **لسان العرب**، مادة ربب.

[5] مُدغِلة: فاسدة أو خائنة، ينظر: **لسان العرب**، مادة دغل.

[6] مُستهبه: وهي من التسهيب، ومعناها ذهاب العقل، ينظر: **لسان العرب**، مادة سهب.

[7] الألبّة: جمع لبيب وهو العاقل، ينظر: **لسان العرب**، مادة لبب

[8] الأذِبّه: الذباب، ينظر: **لسان العرب**، مادة ذبب.

[9] المدبّة: فيها شرّ، ينظر: **لسان العرب**، مادة دبب.

تغـــــدو عليـــــهِ عَـــــدُوَّةً ويَعـــــدُّها أمَـــــا وحِبَّـــــه[1]

والشّاعرُ يذمُّ الدُّنيا؛ لأنَّها بدَّلت طريقَها عنهُ، واعتراهُ الضِّيقُ والحرمانُ مِن خيراتِها وملذّاتِها، ومهما ضيَّقت عليهِ صدرَها، وتضجَّرَ منها، إلّا أنَّ لهفتَهُ وحسرتَهُ وتأوهَهُ عليها، وصبرَهُ على لؤمِها ما هوَ إلا حاجةُ الشّاعرِ لها، لا يريدُ الإعراضَ عنها، على الرغمِ مِن إعراضِها أو إعراضِ أهلها عنهُ، يقولُ:

حُرِمــتُ فــي ســنِّي وفــي مَيعَتــي قِـــرايَ مِـــن دنيـــا تَضـــيَّفتُها[2]
لَهفــي علــى الــدُّنيا وهــل لهفــةٌ تُنصِـــفُ منهـــا إن تلهَّفتُهـــا
كـــم أَهَّـــةٍ لـــي قـــد تأوَّهتُهـــا فيهـــا ومـــن أُفٍّ تأففتهـــا
أغـــدُو ولا حـــالَ تَسَـــنَّمتُها فيهـــا ولا حـــال تَرَدَّفتُهـــا
أوســعتُها صــبرًا علــى لؤمِهــا إذا تَقَصَّـــتهُ تَطرَّفتُهـــا[3]

ويعقدُ الشّاعرُ مقارنةً بينَ فئاتِ المجتمعِ، فالعلماءُ والأدباءُ لا ينالونَ الحظَّ مِنَ الحياةِ، ولا تمنحهم سوى الطَّعامِ الخشنِ والماءِ العكرِ، ومقابلُ ذلكَ تعظِّمُ فئةً مِنَ المجتمعِ نعتها الشّاعرُ بالحماقةِ والجهلِ، فكستهمِ الحياةُ رغادةَ العيشِ وهناءَهُ، يقولُ:

عــزَّت مطالــبُ دُنيــا كــلِّ ذي أدبٍ وهــانَ مَطلــبُ دُنيــا الأنــوَكِ الخَــرِقِ
وقــدَّر اللَّـــهُ فِيهـــا أن يُـــذَلِّلَها فهـــانَ مَطلبهـــا للجاهـــلِ الحَمِـــقِ
فلــيس ينفــكُّ ذو علــمٍ وتجربــةٍ مِــن مأكــلٍ جَشِــبٍ أو مَشــرَبٍ رَنِــق
وذو الجهالـــةِ منهـــا فـــي بُلهنِيَـــةٍ مِــن مســمعٍ حَســنٍ أو مَنظــرٍ أَنِــقِ
تبــارَكَ العــدلُ فيهــا حــينَ يقســمُها بـــينَ البريَّـــةِ قِســمًا غيــر متَّفِــقِ[4]

وإذا عمَّ الظلمُ أرجاءَ الحياةِ، وانتشرَ المفسدونَ فيها، أمطرتِ المصائبَ والويلاتِ على النّاسِ، وقلبت حياتَهم غمًّا وحزنًا، فسرعانَ ما يدعو الشّاعرُ إلى الانصرافِ عنها، ويقدِّمُ نصائحَهُ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 178/1.

(2) الميعة: الحُضرِ والشَّبابِ والسُّكرِ والنهارِ، ينظر: **لسان العرب**، مادة ميع.

(3) ابن الرومي: **الديوان**، 360/1.

(4) نفسه، 1699/4. الأنوك: الأحمق، ينظر: **لسان العرب**، مادة نوك. وخرق: جهل، مادة خَرَقَ. جشب: غليظ خشن، مادة جَشَبَ. ورنق: كَدِر، مادة رَنَقَ. بلهنية: الرخاء وسعة العيش، مادة بَلَهَ.

لأهلِ زمانهِ، فيطلبُ منهم انتهازَ فرصتهم في الحصولِ على متعِ الحياةِ؛ لأنَّها إن أصابت إنسانًا فستودي بهِ إلى الهلاكِ، يقولُ:

ومَن صحِبَ الدُّنيا على جَورِ حُكمها فأيّامُـــهُ محفوفـــةٌ بالمصـــائبِ
فخـذ خُلسـةً مِـن كـلِّ يـومٍ تعيشُـهُ وكـن حـذرًا مِـن كامنـاتِ العواقـبِ[1]

ويذمُّ الشّاعرُ الحياةَ، لاتِّصالها بالأحياءِ، ونراهُ يذمُّ رجالَ الدولةِ من ولاةٍ أو قضاةٍ، ويشبههم بالكلابِ المسعورةِ؛ لتعلُّقهم –مِن وجهةِ نظرهِ– بها، والحياةُ كالجيفةِ الميتةِ التي تتعاورُ الكلابُ على نهشها، وأخذِ حُصَّتِها منها بشراسةٍ، يقولُ:

ألا إنَّمـــا الـــدُّنيا كجيفـــةِ مَيتـــةٍ وطُلَّابهـــا مثـــل الكـــلابِ النـــواهِسِ
وأعظمهـــم ذمًّـــا لهـــا وأشـــدُّهم بهـــا شـــعفًا قـــومٌ طـــوال القلانِـــسِ[2]

واعتمادًا على ما سبقَ، نرى أنَّ الاضطراباتِ التي عاشها ابنُ الروميِّ في مجتمعهِ، جعلتهُ ينظرُ إلى الأحياءِ على أنَّهم الدَّافعُ في تبدُّلِ صورةِ الحياةِ في نظرهِ، ما أدّى بهِ إلى ذمِّها، لكنَّنا سنراهُ يهربُ مِن آلامِها ومشاقِّها، فيذهبُ التَّفكيرُ إلى ملذّاتِها، والعبثِ بظواهرِها الطبيعيَّةِ؛ ليُنفِّسَ عمّا بداخلهِ مِن كُرباتٍ.

ثانِيًا: التَّشَبُّثُ بِالحَياةِ وَحُبُّهُ لَها:

قد تكونُ الحالةُ النَّفسيَّةُ في وقتٍ مِن الأوقاتِ هيَ التي ترمي بالإنسانِ إلى ذمِّ الحياةِ وكرهِها، وقد تكونُ في وقتٍ آخرَ هيَ التي تدعوهُ إلى التَّشبُّثِ بِها، ومما يؤكِّدُ هذهِ الرُّؤيةَ المثالُ الذي ذُكرَ سابقًا عنِ المتنبِّي[3]، وكما أبرزَ الباحثُ ملامحَ ذمِّ ابنِ الروميِّ للحياةِ طِبقًا لحالتهِ النَّفسيَّةِ، سيقومُ في هذا المبحثِ بإبرازِ ملامحِ التَّشبُّثِ بالحياةِ وانعكاسِها على نفسيتهِ، وسبرِ أغوارِ أبياتهِ التي أتى فيها على حبِّ الحياةِ ومعادلاتهِ الموضوعيَّةِ.

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 352/1.

(2) ابن الرومي: **الديوان**، 1228/3، والقلانس: ملابس الرؤوس، ينظر: **لسان العرب**، مادة قَلَسَ.

(3) * ينظر: الحديث عن المتنبي، ص6–7.

وأمّا مظاهرُ حبِّ ابنِ الروميِّ للحياةِ، فتبدو جليَّةً في حديثِهِ عنِ الشَّبابِ، والطَّبيعةِ، والحياةِ الماجنةِ، فكانت عالقةً في وجدانهِ، ولعلَّ إحساسَهُ بالحرمانِ منها جعلهُ يبكيها كفقدانِ عزيزٍ على قلبهِ.

أ- الشَّبابُ:

كَثُرَ الحديثُ عنِ الشَّبابِ في الشِّعرِ العربيِّ، والعويلُ على فقدانهِ، فقالَ أبو عمرو بن العلاءِ: "ما بكتِ العربُ شيئًا ما بكت على الشَّبابِ وما بلغت بهِ ما يستحقُّهُ"[1].

وابنُ الروميِّ مِن هؤلاءِ الشُّعراءِ الذينَ بكوا على الشَّبابِ؛ لأنَّهُ في نظرهِ عنصرُ الفتوَّةِ والنُضجِ، وحينما يذكرُهُ يستحضرُ معهُ مظاهرَ الحياةِ؛ مِن ملذّاتٍ، وطرائفَ، وثمارٍ يانعةٍ، وفتياتٍ عذارى، وأمّا حرمانُهُ مِنَ الشَّبابِ، فيعادلُ حرمانَهُ مِنَ الحياةِ ومظاهرِها التي مازالَ محتاجًا لها، ولم ينهل منها بعدُ، يقولُ:

بانَ الشَّبابُ وأيُّ جار مَضِنَّة ... ودَّعتَ منهُ وأيُّ عِلقٍ مُنفِسِ
لله دَرُّ العيشِ إذ أوطارُهُ ... طُرَفٌ وإذ لذَّاتُهُ لم تُعنَسِ
عُذراتُهُ مَختومةٌ وثمارُهُ ... مكهُومةٌ وجديدُهُ لم يُلبَسِ[2]

ويأتي على ذكرياتهِ في أيّامِ الشَّبابِ في لوحةٍ تعجُّ بمظاهرِ الحياةِ، ويرى فيهِ نِعمَ الصّاحبِ، ويراهُ في رحلةِ صيدٍ، ولقاءٍ يجمعُ عاشقينِ معًا، يقولُ:

بانَ الشَّبابُ ونِعمَ الصاحبُ الغادِي ... وكانَ ما شئتَ مِن أُنسٍ وإسعادِ
بانَ الشَّبابُ حَميدًا ما ذممتُ لهُ ... عهدًا ولا ذُمَّ ما زوَّدتُ مِن زادِ
وكانَ واللَّهوُ مَقرونينِ في قَرَنٍ ... فانبَتَّ حبلُهُما منّي لِميعادِ
وقد تخايلتُ في سِربالِهِ عُصُرًا ... أعودُ فيهِ مِنَ اللَّذّاتِ أعيادِي
إذ للشَّبابِ حِبالاتٌ أصيدُ بِها ... وغِرَّةٌ تُدَّرِي وحشِي لِمُصطادِي
أُصبِي الفتاةَ وتُصبينِي الفتاةُ بهِ ... كِلا الحبيبينِ مُنقادٌ لِمُنقادِ[3]

---

[1] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي: **العقد الفريد**، ط1، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، 361/1.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 12/3. المضنة: شيء نفيس، ينظر: **لسان العرب**، مادة ضنن.

[3] نفسه، 2/ 670.

والحالةُ النَّفسيَّةُ تجعلُ الإنسانَ يشعرُ باللَّذةِ أو الألمِ، طِبقًا للمواقفِ المفرحةِ أو المكدِّرةِ[1]، وابنُ الروميِّ حينما يتحدَّثُ عنِ الشَّبابِ يجمعُ بينَ لذَّةِ الحياةِ، وألمِها، فتَتَفَتَّحُ قريحتُهُ على انقضائِهِ، ويعزِّي نفسَهُ على غيابِهِ، يقولُ:

يـــا شـــبابي وأيـــنَ منِّـــي شـــبابي ... آذنتنـــــــي حِبالُـــــهُ بانقضـــــابِ
دولـــــةٌ يغمِـــرُ الزمـــانُ فتاهـــا ... سُـــوِّدت بالسَّـــوادِ ســـيما الشَّـــبابِ
لهـفَ نفســي علــى نعيمــي ولهــوي ... تحـــتَ أفنانِـــهِ اللـــدِّانِ الرِّطـــابِ
ومُعَـــزٍّ عَـــنِ الشَّـــبابِ مُـــؤسٍّ ... بمشـــــيبِ اللِّـــــدات والأتـــــرابِ
قلـــتُ لمّـــا انتحـــى يَعُـــدُّ أســـاهُ ... مِـــن مُصـــابٍ شـــبابُهُ فمُصـــابِ
لـــيس تأســـو كلـــومُ غيـــري كُلـــومي ... مـــا بـــهِ مـــا بـــهِ ومـــا بـــيَ مـــا بـــي[2]

ويتأثَّرُ ابنُ الروميِّ بالطُّقوسِ الجاهليَّةِ في حديثِهِ عنِ الشَّبابِ، فالشُّعراءُ الجاهليونَ يدعونَ بالسُّقيا لمكانِ المحبوبةِ، أو لقبرِ عزيزٍ، والشّاعرُ يدعو بالسُّقيا لأيّامِ شبابِهِ التي انقضت[3]، وبوصفِ الشَّبابِ عنصرًا مِن عناصرِ الحياةِ، والتَّقدُّمِ بالسِّنِ عُنصرًا مِن عناصرِ الموتِ، مُذَكِّرًا بهِ، فإنَّ الشّاعرَ ينصرفُ بكلِّ جوارحِهِ إلى أيّامِ الشَّبابِ، متمنيًا عودةَ هذهِ الأيّامِ، حيثُ رغدُ الحياةِ، تلكَ الأيّامُ المأمولةُ التي يتذكَّرُها الآنَ في أيّامِهِ المَحذُورَةِ، يقولُ:

سُـــقيًا لأيّـــامٍ خَلَـــت إذ لَـــم أَقُـــل: ... سُـــــقيًا لأيّـــــامٍ خَلَـــــت وَعُصُـــــورِ
أيّـــامَ يرعـــاني الشَّـــبابُ ممتِّعًـــا ... فـــي روضـــةٍ مِـــن لهـــوِهِ وَغَـــدِيرِ
مُســـتَقبِلًا أوطـــارَهُ لَـــم أنصَـــرِف ... عَـــن وَجـــهِ مَـــأمُولٍ إلـــى محـــذورِ[4]

وابنُ الروميِّ الفنّانُ، يرسمُ بنبضاتِ قلبِهِ ولواعجِهِ، لوحةً ممزوجةً بَعَبَقِ الماضي وألمِ الحاضرِ، تُشغِلُ عقلهُ بذكرياتِ الزَّمنِ الجميلِ، ذكرياتِ الشَّبابِ اليافعةِ، تموجُ بالحرَكةِ واللَّونِ والصوتِ، تفيضُ بالمعاني البلاغيةِ، حيثُ التكرارُ اللافتُ لكلمةِ الشبابِ، وربطِها بالتذكُّرِ، أعطى مدلولًا قويًّا على شغفِهِ بالحياةِ، فضلًا عنِ اتِّصالِ الشَّبابِ معِ المرأةِ ومظاهرِ الطَّبيعةِ، فذكراهُ تحيلهُ إلى ريقِ المحبوبةِ، وجمالِ عينيها، وإلى الحديقةِ المزهُوَّةِ بالأشجارِ والأزهارِ، يتهاوى على

---

(1) ينظر: إبراهيم، زكريا: **مشكلة الحياة**، مكتبة مصر، القاهرة، ص267.

(2) ابن الرومي: **الديوان**، 1/234-235.

(3) ينظر: حديث ابن الرومي عن سقيا الشباب في ديوانه، 1/ 336، 3/ 1034، 3/ 1138، 4/ 1684.

(4) نفسه، 3/1138.

رحيقِها النَّحلُ، وتغزوها مياهٌ حلوٌ مذاقُها، وتفوحُ ذكرياتُهُ عبرَ نسماتِ الريحِ البارِدِ، وتندفعُ نحوَهُ مخففةً آلامَهُ، وتسري بهِ إلى ومضاتِ البرقِ اللّامعةِ، وصوتِ الحمامِ الشجيِّ، وحنينِ النّاقةِ الأمِّ إلى أولادِها، يقولُ:

يـــذكِّرني الشَّـــبابَ صَـــدًى طويـــلٌ ... إلـــى بَـــرَدِ الثنايـــا والرُّضـــابِ
يُـــذكِّرني الشَّـــبابَ هـــوانُ عَتبـــي ... وصـــدُّ الغانيـــاتِ لـــدى عتـــابِي
يُـــذكِّرني الشَّـــبابَ ســـهامُ حَتـــفٍ ... يُصـــبنَ مقـــاتلي دون الإهـــابِ
يُـــذكِّرني الشَّـــبابَ جِنـــانُ عَـــدنٍ ... علـــى جنبـــاتِ أنهـــارٍ عِـــذابِ
يُـــذكِّرني الشَّـــبابَ ريـــاضُ حَـــزنٍ ... تَـــرنَّم بينهـــا زُرقُ الـــذُّبابِ
يـــذكِّرني الشَّـــبابَ سَـــراةُ نِهـــيٍ ... نَميـــرِ المـــاءِ مُطَّـــرِد الحَبـــابِ
تُـــذَكِّرُني الشَّـــبابَ صـــبًا بَليـــلٌ ... رســـيسُ المَـــسِّ لاغبـــةُ الرِّكـــابِ
يُـــذكِّرني الشَّـــبابَ ومـــيضُ بـــرقٍ ... وســـجعُ حمامـــةٍ وحنـــينُ نـــابِ[1]

والشَّبابُ في نظرِهِ الوطنُ، والتعلُّقُ بالوطنِ هو تعلُّقٌ بالحياةِ وما فيها مِن ذكرياتٍ، وابنُ الروميِّ يشكو إلى سليمانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ[2] رجلًا مِنَ التُّجّارِ، اسمهُ أبو كاملٍ، حيثُ أجبرهُ على بيعِ دارِهِ[3]، قائلًا:

ولـــي وطـــنٌ آليـــتُ ألاّ أَبيعـــهُ ... وألاّ أرى غيـــري لـــهُ الـــدهرَ مالِكـــا
عهِـدتُ بـــه شَـرخَ الشَّـبابِ ونعمـةً ... كنِعمَـةِ قـوم أصـبحُوا فـي ظِلالِكـا
وحبَّـــبَ أوطـــانَ الرجـــالِ إلـــيهمُ ... مـــآرِبُ قضّـــاها الشَّـــبابُ هُنالكـــا
إذا ذَكَـــروا أوطـــانَهم ذكَّـــرَتهُمُ ... عهـودَ الصِّـبا فيهـا فحنّـوا لـذلِكا[4]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 257/1–258. الماء النمير: الناجع في الريِّ، ينظر: **لسان العرب**، مادة نَمَرَ. والناب: الناقة المسنَّة، ينظر: **لسان العرب**، مادة نَيَبَ.

[2] سُلَيمان بن عبد الله بن طاهِر بن الحُسَين أَبُو أَيُّوب الخُزَاعِيّ من بَينَ الإمارَة والتقدّم قالَ الطَّبَرِيّ ولي شرطة بَغداد والسواد من قِبَل المعتزّ فِي سادس شهر ربيع الأول سنة خمس وَمِائَتَين وَكانَ أديبًا شاعِرًا روى عَنهُ المبرّد وَأَبُو مالك الضَّرِير وَغَيرهما وتوفيّ سنة ستّ وستّين وَمِائَتَين وَمن شعره ما كتبه إِلَى بعض أَصحابه وَكانَ عليلًا من الطَّوِيل
(بإخوانك الأدنين لابك كانَ ما... شَكوتَ إليّ اليومَ ألَمِ الوَجدِ). ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، ج242/15.

[3] ينظر: الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي: **زهر الآداب وثمر الألباب**، ط4، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 736/1.

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 1825/5–1826.

ويُقرُّ الشّاعرُ بأنَّ الشَّبابَ هوَ الحياةُ، وفقدانهُ هوَ الموتُ، ويقدِّمُ ذلكَ في صورةٍ متناسقةٍ تجمعُ بينَ الشَّبابِ وأغصانِ الأشجارِ، فمرحلةُ الشَّبابِ عندَ الشّاعرِ يراها كالغصنِ المخضرِّ عودهُ، وأمّا مرحلةُ انتهائِهِ، فيراها كالغصنِ اليابسِ الذي قاربَ على الانكسارِ والموتِ، يقولُ:

ألا إنَّمـــا الـــدُّنيا الشَّـــبابُ وإنَّمـــا سُـــرورُ الفتـــى هـــاتيكمُ السَّـــكراتُ
ولا خيـــرَ فـــي الـــدُّنيا إذا مـــا رعيتهـــا وقـــد أيبســـت أجنابُهـــا الخَضِـــراتُ[1]

واعتمادًا على ما سبقَ، فقد كانَ حديثُ الشّاعرِ عنِ الشَّبابِ ناجمًا عن خيباتٍ تلاحقُه بينَ الفينةِ والأخرى، امتزجت بهرمهِ وشيخوختهِ، جعلهُ ذلكَ مُتَشَبِّثًا بشبابهِ الذي سافرَ بهِ إلى مناراتِ المدينةِ ومصابيحِ البيوتِ والشواطئِ، وابنُ الروميِّ بفقدانهِ للشَّبابِ فقدَ شهوتَهُ مِنَ الحياةِ دونَ أن يشبعَ منها، وأصبحت غرائزُهُ وشهواتُهُ رغباتٍ مكمودةً تحترقُ بداخلهِ حسرةً وألمًا[2].

ب- الطَّبيعَةُ:

كانَ للطَّبيعةِ في مِخيالِ ابنِ الروميِّ أثرٌ بارزٌ على نفسيَّتِهِ، انعكست معالمُها على نظرتهِ للحياةِ، فهوَ مِنَ الشُّعراءِ الذينَ استأنسوا بالطَّبيعةِ ومظاهرِها الزّاهيَةِ مِن حدائقَ غنّاءَ، وجداولَ رقراقةٍ، وأفانين أشجارٍ تهمسُ الحنينَ والحبَّ الدَّفينَ، وطيورٍ تبحثُ عن معشوقاتِها[3].

ويُطلِعُنا ابنُ الروميِّ على لوحةٍ نابضةٍ بالحياةِ، يُخرجُها مِن صمتِها وسكونِها إلى حيويتِها ونشاطِها، ويحرِّكُها بألوانِ ريشتهِ الزّاهيةِ، ويُضفي عليها عناصرَ الحركةِ، تارةً في حركةِ الرِّياحِ العليلةِ التي تهبُّ وقتَ السَّحرِ على أفانينِ الأشجارِ، وتارةً في حركةِ العصافيرِ وتلاطمِها على أوراقِ الأشجارِ المخضرَّةِ، وكأنَّ الشّاعرَ يصوِّرُ مشهدًا رومانسيًا، نطالعُ فيهِ عاشقًا يجدُ معشوقتَهُ بينَ أحضانِ طبيعةٍ آسرةٍ للقلوبِ، فيناجي كلاهُما الآخرَ بأحاسيسَ مرهفةٍ، ويجدُ في ذلكَ العشقِ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 1/ 388.

(2) ينظر: الحاوي، إيليا سليم: **ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره**، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959، ص295.

(3) ينظر: حسن، حسين الحاج: **أعلام في الشعر العباسي**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص288.

هُروبًا مِن ضَنَكِ الحياةِ الموحشةِ بأهلِها، إلى شغفِ الحياةِ الممزوجةِ بعناصرِ الطَّبيعةِ الخلّابَةِ، يقولُ:

حَيَّتــكَ عنّــا شِــمالٌ طــافَ طائِفُهــا ... بجنَّـــةٍ فَجَّـــرَت رَوحًـــا ورَيحانـــا
هَبَّت سُـحَيرًا فنـاجى الغُصنُ صـاحِبَهُ ... مُوَسوِسًـــا وتَنـــادَى الطَّيـــرُ إعلانـــا
وُرقٌ تَغَنَّـــى علـــى خُضـــرٍ مُهَدَّلـــةٍ ... تَســـمو بِهـــا وتَشُـــمُّ الأرضَ أحيانـــا
تَخـــالُ طائرَهـــا نَشـــوانَ مِـــن طَـــرَبٍ ... والغُصـنَ مِـن هَـزِّهِ عِطفَيـهِ نَشـوانا[1]

وابنُ الروميِّ تفتنهُ الطَّبيعةُ، ويشغفُ بها، ويسرحُ عبرَ انطلاقاتِها وأفراحِها، وتحدِّثُهُ نفسهُ عن أغصانِها ونسائمِها وحمائمِها[2]، ونجدُ ذلكَ في قصيدتهِ التي وصفَ فيها الرِّياضَ، فجعلها مزدانةً بعناصرِ الحياةِ، فتارةً يصوِّرُها بثوبِ فتاةٍ شاركت في نقشهِ مظاهرُ الكونِ مِن سحابٍ وأمطارِ الوليِّ والوسميِّ والعهادِ، وهيَ أمطارٌ تتساقطُ في فصلِ الرَّبيعِ، فتهزُّ الأرضَ، وتمنحُها الخضرةَ والحياةَ، ثمَّ تشاركُها الرِّياحُ متعبِّدَةً، رافعةً يديها إلى السَّماءِ، شاكرةً لها لما وهبتهُ مِن طيبِ عِطرِها الزَّكيِّ، وهبّاتِ نسائمِها المنعشةِ التي تبعثُ الرّاحةَ والسكينةَ في القلوبِ، فتحييها كما تحيي الأرواحُ الأجسادَ الميتةَ، وينقلُنا إلى مشهدٍ آخرَ للرياضِ، فيمازجُ بينَ رائحةِ الورودِ والأزهارِ مِن جهةٍ، ورائحةِ أولادِهِ الزَّكيَّةِ التي تمنحُهُ السعادةَ والأملَ مِن جهةٍ أخرى، يقولُ:

وريـــــاضٍ تَخايَـــــلُ الأرضُ فيهـــــا ... خُـــيَلاءَ الفتـــاةِ فـــي الأبـــرادِ[3]
ذاتِ وشـــــيٍ تناسَـــــجَتهُ سَـــــوارٍ ... لَبِقـــــاتٌ بحوكِـــــهِ وغـــــوادِ
شـــكرت نعمـــةَ الـــوليِّ علـــى الوســـ ... ـــمِـــيِّ ثـــمَّ العِهـــاد بعـــدَ العِهـــادِ[4]
فهـــيَ تُثنـــي علـــى السَّـــماءِ ثنـــاءً ... طيِّـــبَ النَّشـــرِ شـــائعًا فـــي الـــبلادِ
مِـــن نســـيمٍ كـــأنَّ مَســـراهُ فـــي الأر ... ـــواحِ مَســـرى الأرواحِ فـــي الأجســـادِ
حَملَـــت شُـــكرَها الريـــاحُ فـــأدَّت ... مـــا تؤدّيـــهِ ألسُـــنُ العُـــوّادِ
منظـــرٌ مُعجِـــبٌ تحيَّـــةُ أنـــفٍ ... ريحُهـــا ريـــحُ طَيِّـــبِ الأولادِ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 2460/6.

(2) ينظر: حطيط، كاظم: **دراسات في الأدب العربي: البيئة العباسية**، ط1، دار الكتاب اللبناني– دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، 1977، ص90.

(3) الأبراد: الثياب، ينظر: **لسان العرب**، مادة بَرَدَ.

(4) الوسميّ: مطر أول الربيع، ينظر: **لسان العرب**، مادة وَسَمَ. الوليّ: مطر يسقط بعد الوسميّ، ينظر: **لسان العرب**، مادة وَليَ. العهاد: ضعيف مطر الوسميّ، ينظر: **لسان العرب**، مادة عَهَدَ.

مَســـــمَعٌ مُطـــــرِبٌ إذا شِـــــئتَ مُلـــــهٍ لـــكَ عـــن كـــلِّ طـــارفٍ وتـــلادِ[1]

وفي القصيدةِ ذاتِها ينتقلُ الشّاعرُ؛ ليعطيَ مشهدًا وجدانيًا يجمعُ بينَ اللّذةِ والألمِ، يتمثَّلُ في صوتِ الحمامِ النّائحِ، وصوتِ الغانياتِ العذبِ، وصورةِ عاشقينِ مقرونينِ ينتشيانِ لذَّةَ الحياةِ مِن رياضِ الطَّبيعةِ، وأخرى لعشّاقٍ ذاقوا لوعةَ الفِراقِ، فأضحوا فُرادى، في عزلةٍ، وهذا المشهدُ نلمحُ منهُ حالةَ الشّاعرِ النَّفسيَّةِ المُتعطِّشَةِ للحياةِ، يقولُ:

تتـداعى بهـا حمـائمُ شَـتَّى كـالبواكي وكالقيـانِ الشـوادِي
مِـن مَثـانٍ مُمَتِّعـاتٍ قِـرانٍ وفِـــرادٍ مُفجِعـــات وحـــادِ
تتغنّـــى القِـــرانُ فـــي الأيـــ ـكِ وتبكـي الفِرادُ شجوَ الفِراد[2]

ت- الحَياةُ الماجِنَةُ:

كما شكَّلتِ الطَّبيعةُ عندَ ابنِ الروميِّ عُنصرًا مِن عناصرِ الحياةِ، فإنَّ الحياةَ الماجنةَ جاءت موازيةً للطَّبيعةِ بوصفِها عنصرًا مِن عناصرِ الحياةِ عندهُ، فتارةً يصفُ في أشعارِهِ أشهى المشروباتِ والأطعمةِ، ويتوقَّفُ عندَ صانعيها واصفًا إيّاهم أدقَّ الوصفِ، ويتفنَّنُ في عرضِ أوصافِها، ويصوِّرُ بأسلوبهِ مشاهدَ مختلفةٍ منها، فيسمعكَ أصواتَ الأواني وموسيقى الملاعقِ، فتأخذُكَ حواسُكَ الخمسُ إلى مأكولاتٍ ومشروباتٍ طيِّبٌ مذاقُها، تتمثَّلُ في وصفهِ الرِّقاقَ[3] والدَّجاجَ[4] والقطائفَ[5] والموزَ والزَّلابيةَ والعنبَ الرّازقيّ[6] والنَّبيذَ[7]، فتراهُ يمزجُ بينَ لذَّةِ المأكولاتِ وأطايبِها ولذَّةِ الحياةِ ونعيمِها، وهذا الوصفُ الدَّقيقُ ناتجٌ عن رغبتهِ لإشباعِ معدتهِ المعتادةِ على الشَّراهةِ والجشعِ، ونهمهِ الشَّديدِ للحياةِ.

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 683/2-684.

(2) نفسه، 683/2-684.

(3) ينظر: أبيات ابن الرومي في وصف الرقاق، **الديوان**، 110/3، 1177/3.

(4) ينظر: نفسه، 182/1، 183/1، 954/3.

(5) ينظر: نفسه، 1073/3.

(6) ينظر: نفسه، 987/3، 988.

(7) ينظر: حديث ابن الرومي عن النبيذ، **الديوان**، 206/1، 340/1، 552/2، 553/2، 1174/3، 1242/3.

والشّاعرُ عندما يصفُ الطَّعامَ والشَّرابَ، يُضفِي عناصرَ الحياةِ بحركتهِ الخفيَّةِ، وإحساسهِ المرهفِ، وقد أجادَ في رسمِ صورةٍ تشكيليَّةٍ تجمعُ بينَ قالي الزَّلابيةِ، وذاتهِ الجائعةِ، فبدأَ يصفُ نفسيَّةَ القالي المتعبةِ والمُجهدةِ مِنَ العملِ، ووصفِ حركتهِ وقتَ السَّحرِ وهوَ يُلقي العجينَ في الزَّيتِ بخفَّةٍ سحريَّةٍ؛ ليغدوَ العجينُ كالكيمياءِ، فيتأكسدُ بينَ يديهِ ويصبحُ كالفضَّةِ، ويلقيها ثانيةً، فيصبحُ ذهبًا، وهذا الوصفُ الدَّقيقُ ينبئُنا عن نقصٍ يراودُ الشّاعرَ، وهوَ الرَّغبةُ في إشباعِ نفسهِ مِن ملذّاتِ الحياةِ، يقولُ:

ومُستقرٌّ على كرسيِّهِ تَعِبٍ ... روحي الفداءُ لهُ مُنصَبٍ نَصِبِ
رأيتهُ سَحَرًا يقلي زلابيةً ... في رقَّةِ القِشر والتجويفِ كالقَصَبِ
كأنَّما زيتُهُ المَغليُّ حينَ بدا ... كالكيمياءِ التي قالوا ولم تُصَبِ
يُلقي العجينَ لُجينًا مِن أناملهِ ... فيستحيلُ شَبابيكًا مِنَ الذهبِ[1]

وعندما يبيِّنُ نظرتَهُ الشَّغوفةَ بالحياةِ، نجدهُ يقدِّمُ رؤيتَهُ الفلسفيَّةَ فيها، وقد قالَ المعريّ عنهُ في رسالةِ الغفرانِ: "وأمّا ابنُ الروميِّ فهوَ أحدُ مَن يقالُ: إنَّ أدبَهُ كانَ أكثرَ مِن عقلِهِ، وكانَ يتعاطى علمَ الفلسفةِ"[2]، وهذا ما يبدو جليًّا في وصفهِ الموزَ، فهوَ فاكهةٌ محببةٌ عندهُ، لكنَّ الغريبَ في الأمرِ هذا التَّأويلُ اللفظيُّ المغرقُ في الالتواءِ وتجاذبهِ بينَ الحياةِ والموتِ، نستشفُ منهُ فكرةَ حبِّ الحياةِ والخوفِ مِنَ الموتِ اللتين جعلتا الشّاعرَ يسلكُ هذا المسلكَ في تعبيرهِ عن لذَّةِ الطَّعامِ (الموزُ)، يقولُ:

إنَّما الموزُ حينَ تُمكَنُ منهُ ... كاسمهِ مُبدلًا مِنَ الميمِ فاءَ
وكذا فَقدُهُ العزيزُ علينا ... كاسمهِ مُبدلًا مِنَ الزايِ تاءَ
فهوَ الفوزُ مِثلما فقدُهُ الموتُ، ... لقد بانَ فضلهُ، لا خفاءَ
ولهذا التأويلِ سَمّاهُ مَوزًا ... مَن أفادَ المعانيَ الأسماءَ[3]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 353/1.

[2] المعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران ومعها نص محقق لرسالة ابن القارح**، تحقيق عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، ط9، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص476-477.

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 61/1.

وابنُ الروميِّ مضطربُ النَّفسِ، تُلاحقهُ هواجسُ الرُّعبِ مِنَ الموتِ، فإذا فكَّرَ بزوالِ الحياةِ، أقبلَ على أطايبِها بشغفٍ شديدٍ وشهوانيَّةٍ زائدةٍ[1]، يتَّضحُ ذلكَ في مقدِّمةِ قصيدةٍ مدحَ بها عبيد اللهِ بن خُرداذبَه[2]، يظهرُ فيها مدى تعلُّقهِ بالحياةِ، فهيَ في نظرهِ دارُ مجونٍ ولهوٍ، وقصفٍ ورقصٍ، يراها في لذَّةِ الشَّرابِ، وحركةِ الغانياتِ ورشاقةِ أجسامهنَّ، وتمايلهنَّ كأغصانِ الأشجارِ، فهذا المشهدُ الذي يعجُّ بالحيويَّةِ أرادهُ ابنُ الروميِّ أن يبقى عالقًا في ذاكرتهِ، مبتعدًا عنِ التَّفكيرِ بالموتِ، يقولُ:

وألــذُّ العَــيشِ مــا فــيــــ ـــهِ صَـــبُوحٌ وَصَـــباح
وسَـــــــماعٌ مَعبـــــــدِيٌّ لَـــم يُجـــاوِزهُ اقتِـــراح
وَغَـــــــــــزالٌ ذُو دَلالٍ كُلُّـــــهُ دَاحٌ وَمـــــاح
هُــوَ دِعــصٌ وّهــوَ غُصــنٌ تتَهـــــاداهُ الرِّيـــــاح
فَمُقَبّـــــــاهُ رشـــــيقٌ وَمُخَبّـــــــــاه رَداح
لِـــــي إلـــى ذاكَ ارتيـــاحٌ وَعَلَيـــــهِ مســـــتَراح
أَيُّهـــا العـــاذِلُ لا أَخـــــ ـــطأكَ الحَـــينُ المُتـــاح
إن يكــن عنــدكَ لــي نصـــ ـــحٌ فمـا عنـدي انتصـاح
إنَّمـــا الـــدُّنيا مـــلاهِ واغتِبـــاقٌ واصـــطِباح
والمُـــزاحُ الجـــدُّ إن نكَّـــ ـــرتَ والجـــدُّ المُـــزاح
إن يكُـــن عِنـــدَك لُـــبٌّ فأقـــاويلي صِـــحاح[3]

وبناءً على التَّحليلِ السّابقِ لشعرِهِ، والمقارنةِ بينَ ذمِّهِ للحياةِ وحبِّهِ لَها، تبيَّنَ أنَّ ابنَ الروميِّ مغرمٌ بالحياةِ، راكضٌ وراءَ ملذّاتِها، يراها في ريعانِ الشَّبابِ، وأهازيجِ الطَّربِ وألحانِ

---

(1) ينظر: خالد، أحمد: **ابن الرومي**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1977، ص53.

(2) أبو القاسم الكاتب: كان جده خرداذبه مجوسيا فأسلم على يد البرامكة، وتولى عبيد الله هذا البريد والخبر بنواحي الجبل. ونادم المعتضد وخصّ به، وكان راوية للأخبار والآداب. ينظر: الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج1573/4.

(3) ابن الرومي: **الديوان**، 549/2. الصبوح: ما يشرب في الصباح، ينظر: **لسان العرب**، مادة صبح. والدّاحُ: نقشٌ يُلوَّحُ به للصبيان يعللونَ بهِ، يقال: الدّنيا داحةٌ. ينظر: **لسان العرب**، مادة دوحَ. ماحَ في مِشيته يَمِيحُ مَيحًا ومَيحُوحة: تَبَختر، وهو ضرب حسن من المشي في رَهوَجة حَسَنةٍ، وهو مشي كمشي البَطَّة؛ وامرأة مَيّاحة؛ قال: ميّاحة تميحُ مشيًا رهوجا. ينظر: **لسان العرب**، مادة ميح. رداح: امرأة رداحٌ ورداحة وردوحٌ: عجزاء ثقيلة الأوراك تامَّة الخلق. ينظر: **لسان العرب**، مادة ردح. والحَينُ، بالفتح: الهلاك، ينظر: **لسان العرب**، مادة حين. اغتباق واصطباح: وهي من الغبوق والصبوح، الصَّبُوحُ وهو الغداء، والغَبُوقُ وهو العَشاء، ينظر: **لسان العرب**، مادتي غبق وصبح.

الرَّبابِ، وبينَ أفانينِ الأشجارِ، ورحيقِ الأزهارِ، وجداولِ الأنهارِ، ويراها في أحشائهِ الهاويةِ، ومعدتهِ الخاويةِ، وبينَ مشاعرهِ الجوعى، وأقداحِ خمرٍ تروي روحَهُ الظمآى، وبينَ طرَقَاتِ الملاعقِ والأواني، والفتياتِ الحسانِ الغواني.

وعندما كانَ يذمُّ الحياةَ، لم يكن يقصدُ الحياةَ ذاتها، وإنَّما يقصدُ الأحياءَ الذينَ يعيشونَ فيها، وذلكَ لِما أورثوهُ مِن كدرِ العيشِ، وما صبغوهُ بالألوانِ القاتمةِ.

المَبحَثُ الثّاني

مَفهومُ المَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ

ثمَّةَ مؤثّراتٌ كثيرةٌ وجَّهت ابنَ الروميِّ في صياغةِ رؤيتهِ في الحياةِ والموتِ، وأهمُّها:

أوَّلًا: المُعتَقَدُ المَذهَبي:

توجَّهَ ابنُ الروميِّ توجُّهاتٍ مذهبيةً مختلفةً، تِبعًا للظروفِ التي عاشَها في حياتهِ، ومنها التشيُّعُ، والاعتزالُ، والزَّندقةُ، وأمّا تشيُّعهُ، فأكَّدَهُ العقّادُ قائلًا: "كانَ شيعيًّا معتزلًا قدريًا يقولُ بالطَّبيعتينِ، وهيَ أسلمُ النِّحلِ التي كانت شائعةً في عهدهِ مِن حيثُ الإيمانُ بالدِّينِ"[1]، ويعزو العقّادُ تشيُّعهُ إلى سلالتهِ، فأمُّهُ كانت مِن أصلٍ فارسيٍّ، والفرسُ أقربُ في مذهبهم للعلويينَ[2]، إلّا أنَّ المعريَّ أنكرَ تشيُّعَهُ قائلًا: "والبغداديونَ يدَّعونَ أنَّهُ متشَيِّعٌ، ويستشهدونَ على ذلكَ بقصيدتهِ (الجِّيمية)، وما أراهُ إلّا على مذهبِ غيرهِ مِنَ الشُّعراءِ"[3].

وتطرَّقَ في شعرهِ إلى المذهبِ الشِّيعيِّ، فمِن جهةٍ مدحَ الإمامَ عليّ، رضيَ اللهُ عنهُ، ورفعَ مِن منصبهِ، وعدَّهُ سماويًا، مترفِّعًا عَنِ البشرِ، وهذهِ النَّظرةُ قائمةٌ عندَ الشِّيعةِ، "فقد عدّوا الإمامةَ منصبًا إلهيًا"[4]، ومِن جهةٍ أخرى رأى في مذهبِ بني العبّاسِ طريقَ الجهلِ والضَّلالِ، يقولُ:

يـا هنـدُ لـم أعشـق ومثلـي لا يَـرى ... عشــقَ النِّســاءِ ديانــةً وتحرُّجــا
لكــنَّ حبِّــي للوصــيِّ مخــيِّمٌ ... فـي الصَّدر يسرحُ فـي الفؤادِ تولُّجا
فهـوَ السِّـراجُ المسـتنيرُ ومَـن بِـهِ ... سببُ النجـاةِ مِـنَ العذابِ لمـن نَجـا
وإذا تركـتُ لــهُ المحبَّــةَ لــم أجـد ... يـومَ القيامــةِ مِـن ذنـوبي مَخرَجـا
قـل لـي: أأتـركُ مسـتقيمَ طريقِـهِ ... جهــلًا وأتَّبــعُ الطريــقَ الأعوَجــا؟
وأراهُ كــالتِّبرِ المصــفَّى جــوهرًا ... وأرى سِــواهُ لناقديــهِ مُبهرَجــا

---

[1] العقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، ص164.

[2] نفسه، ص166-167.

[3] المعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران ومعها نص محقق لرسالة ابن القارح**، ص477.

[4] رزق، الشيخ خليل: **علم الأئمة المعصومين مقاربة فلسفية كلامية**، (رسالة ماجستير منشورة)، ط1، دار الهادي، بيروت، 2006م، ص51.

ومحلُّــهُ مِــن كــلِّ فضــلٍ بــيِّنٍ ... عــالٍ محـلّ الشـمسِ أو بـدرِ الـدُّجا
قــالَ النَّبــيُ لــهُ مقــالًا لــم يكــن ... يــومَ (الغـديرِ) لسـامعيهِ مُمَجمَجـا
مَــن كنــتُ مــولاهُ فـذا مــولى لــهُ ... مثلــي وأصــبحَ بالفَخــارِ متوَّجــا[1]

والشِّيعةُ كغيرهم كانوا يبجِّلونَ الموتَ في سبيلِ مذهبهم والدِّفاعِ عنهُ، وابنُ الروميِّ عندما صُقلَ بصبغتهم، حَمَلَ هذهِ النَّظرةَ في رثائهِ يحيى بن عمر الذي تسربلَ بالدَّمِ جرّاءَ طعناتِ القنا، فأبدلهُ اللهُ سِربالًا مِن أرجوان، وأدخلهُ الجنَّةَ، فعانقَ فيها الحورَ العينَ، يقولُ:

كســتهُ القَنــا حُلَّــة مِــن دمٍ ... فأضــحت لــدى اللهِ مِــن أُرجــوانِ
حَذَتــهُ معانقــةُ الذِّراعيــ ... ـنِ معانقــةَ القاصــراتِ الحســانِ[2]

ويقرُّ الشّاعرُ بأنَّ المذهبَ الشّيعيَّ هوَ الطَّريقُ المؤدّي إلى الهدايةِ، لا مذهبَ بني العبّاسِ، ويتَّضحُ ذلكَ في رثائهِ يحيى بن عمر، حيثُ اتَّسمت مرثيتهُ بعاطفةٍ صادقةٍ، نابعةٍ من تعلُّقهِ بالمذهبِ الشّيعيِّ، لذلكَ نجدهُ يطلبُ الموتَ كي تهدأَ جوارِحُهُ، وتسكُنَ آلامُهُ التي تعبثُ بلواعجِ صدرهِ، يقولُ:

أمامــكَ فــانظر أيَّ نهجيــكَ تَــنهُجُ ... طريقــانِ شــتّى مســتقيمٌ وأعــوجُ
ألا أيُّهــذا النّــاسُ طــالَ ضــريرُكم ... بــآلِ رســولِ اللَّــهِ فاخشُــوا أو ارتجُــوا
تبيعــونَ فيــهِ الــدِّينَ شــرَّ أئِمــةٍ ... فللــهِ ديــنُ اللَّــهِ قــد كــادَ يَمــرَجُ
أيحيــى العُــلا لهفِــي لــذكراكَ لهفــةً ... يباشــرُ مَكواهــا الفــؤادَ فيَنضــجُ
أحــينَ تَراءتــكَ العيــونُ جِلاءَهــا ... وإقــذاءَها أضــحت مَراثيــكَ تُنسَــجُ
بنفســي وإن فــاتَ الفِــداءُ بــكَ الــرَّدى ... محاسِــنُكَ اللائــي تُمَــحُّ فَتُــنهَجُ[3]

ويرى ابنُ الروميِّ أنَّهُ مقّصِّرٌ في نُصرةِ الشّيعةِ، ويلومُ نفسَهُ على عدمِ مجابهةِ الموتِ لأجلِ المذهبِ الشِّيعيِّ[4]، فيقولُ في أبياتٍ نظمَها في الحسينِ بنِ الحسنِ:

---

[1] النجفي، عبد الحسين أحمد الأميني: **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت1994، 51/3، ولم يتم العثور على القصيدة في ديوانه.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 2537/6.

[3] نفسه، 492/2-494.

[4] شرف الدين، خليل: **ابن الرومي**، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1984، ص46.

ومِـنَ التَّقصـيرِ صـوني مُهجَتـي ... فِعـلَ مَـن أضـحى إلـى الـدُّنيا رَكَـن
لا دمـــي يُســـفَكُ فـــي نُصـــرَتِكُم ... لا ولا عِرضِـــيَ فِـــيكم يُمـــتَهَن
غيـــر أنِّـــي بـــاذلٌ نفسِـــي وإن ... حَقَّـــنَ اللهُ دَمِـــي فيمـــا حَقَـــن
ليـــتَ أنِّـــي غَـــرَضٌ مِـــن دُونِكُـــم ... ذاكَ أو دِرعٌ يقـــــيكم ومجَـــــن
أتلقّـــى بجبينـــي مَـــن رمَـــى ... وبِنَحـــرِي وبِصَـــدرِي مَـــن طَعَـــن
إنَّ مُبتـــاعَ الرِّضـــا مِـــن رَبِّـــهِ ... فِـيكُم بـالنَّفسِ لا يَخشَـى الغَـبَن[1]

وثمَّةَ مَن وجدَ في ابنِ الروميِّ أفكارَ المعتزلةِ[2]، وهيَ اسمٌ أطلقَ على أولِ مدرسةٍ كلاميةٍ واسعةٍ ظهرت في الإسلامِ، ونشأت في البصرةِ في حدودِ نهايةِ المائةِ الأولى للهجرةِ، ولها دورٌ كبيرٌ في تاريخِ الفكرِ الإسلامي في القرنينِ الثّاني والثّالثِ الهجري، وقد أدخلَ رجالُها الأصولَ العقليةَ للعقائدِ الإسلاميَّةِ[3]، ومن ضمنها مسائلُ العدلِ والتَّوحيدِ[4]، فكانَ لهذهِ الفرقةِ أثرٌ جليٌّ على شعرهِ، يقولُ:

أأرفـــضُ الاعتـــزالَ رأيًـــا؟ ... كـــلاّ لأنّـــي بـــهِ ضـــنينُ
لـــو صـــحَّ عنـــدي لـــهُ اعتقـــادٌ ... مـــا دنـــتُ ربّـــي بِمـــا يـــدينُ[5]

ويتبنّى فكرةَ العدلِ والتَّوحيدِ التي أتى بها المعتزلةُ؛ لمواجهةِ الملحدينَ بالحججِ العقليَّةِ، وإعلاء شأنِ الإسلامِ ومكانتهِ[6]، ويظهرُ ذلكَ في خطابهِ للعبّاسِ بنِ القاشيِّ المعتزليِّ، قائلًا:

إن لا يكـــن بيننـــا قُربـــى فآصـــرةٌ ... للـــدِّينِ يقطـــعُ فيهـــا الوالـــدُ الولـــدا
مقالـــةُ العـــدلِ والتَّوحيـــدِ تجمعُنـــا ... دونَ المضاهينَ مَن ثَنَّى ومَن جحدا
وبـــينَ مســـتطرفي غـــيٍّ مُرافقـــةٌ ... تُرعى فكيفَ اللذانِ استطرفا رشدا
كن عندَ أخلاقكَ الزُّهرِ التي جُعلت ... عليـــكَ موقوفـــةً مقصـــورةً أبـــدا
ماعـــذرُ معتزلـــيٍّ مُوســـعٍ مَنَعـــت ... كفَّـــاهُ مُعتزليًـــا مُقتـــرًا صـــفدا[7]

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 2531/6.

(2) ينظر: ضيف، شوقي: **العصر العباسي الثاني**، ص197، العقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، ص169.

(3) عبد الحميد، عرفان: **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية**، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967، ص83.

(4) ينظر: العكلوك، عبد اللطيف بن رياض بن عبد اللطيف: **منهج المعتزلة في توحيد الأسماء والصفات عرض ونقص**، رسالة ماجستير منشورة، غزة الجامعة الإسلامية، 2011، ص6.

(5) ابن الرومي: **الديوان**، 2491/6.

(6) ينظر: الصفدي، ركان: **ابن الرومي الشّاعر المجدد**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ص48.

(7) ابن الرومي: **الديوان**، 647/2.

ويؤمنُ ابنُ الروميِّ بالاختيارِ؛ "لأنَّ المعتزلةَ يقولونَ إنَّ الخيرَ والشَّرَّ من صنعِ الإنسانِ، لتمامِ العدلِ الإلهيِّ، فلو كانا مِنَ الله لما جازَ في رأيهم أن يحاسبَ الإنسانُ على أعمالهِ ثوابًا أو عِقابًا"[1]، يقولُ:

الخيـــــرُ مصـــــنوعٌ بصـــــانعِهِ ... فمتـــى صـــنعتَ الخيـــرَ أعقبكـــا
والشـــــرُّ مفعـــــولٌ بفاعلِـــــهِ ... فمتـــى فعلـــتَ الشـــرَّ أعطبكـــا[2]

ويؤيِّدُ فكرةَ المعتزلةِ وهي أنَّ الإنسانَ مخيّرٌ، ونفسهُ تسمو دائمًا إلى العُلا، وتستمدُ خيرَها مِنَ اللهَ، عزَّ وجلَّ، لذلكَ يستطيعُ التخلِّي عنِ الأمورِ والعاداتِ السَّيِّئةِ، أمّا الشرُّ فهوَ أرضيٌّ يجذبُ الإنسانَ إلى الأسفلِ ويقودهُ إلى فعلِ المنكراتِ، لذلكَ ارتبطَ العقلُ بالسموِّ والرِّفعةِ، يقودُ بالإنسانِ إلى الخيرِ والعملِ الصّالحِ، وأمّا الهوى يقودُهُ إلى الهاويةِ والسُّقوطِ إلى الأسفلِ، يقولُ:

وانظـر بعـينِ العقـلِ لا عـينِ الهـوى ... فـــالحقُّ للعـــينِ الجليَّـــةِ عـــارِي
أخرجـتَ مِـن بـابِ المشـيئةِ مثـلَ مـا ... خرجـت فأنـتَ علـى الطَّبيعـةِ جـاري
أنّـــى تكـــونُ كـــذا وأنـــتَ مُخَيَّـــرٌ ... مُتَصـــرِّفٌ فـــي الـــنَّقضِ والإمـــرارِ
أيـــنَ اختيـــارُ مخيَّـــر حســـناتهُ ... إن كنـــتَ لســـتَ تقـــولُ بالإجبـــارِ
الـــنَّفسُ خيـــرُكَ إنَّهـــا علويَّـــةٌ ... والجســـمُ شـــرُّكَ لـــيسَ فيـــهِ تمـــاري
فانقـــد لخيـــرِكِ لا لشـــرِّكَ واتَّبِـــع ... أولاهمـــــا بالقـــــادرِ الغفَّـــــارِ
كـن مثـلَ نفسـكَ فـي السُّموِّ إلـى العُلـى ... لا مثـــلَ طينـــةِ جســـمِكَ الغـــدّارِ
فـالنَّفسُ تسـمو نحـوَ علـو مليكهـا ... والجسـمُ نحـوَ السـفلِ هـاوٍ هـاري[3]

وهناكَ مَن رمى ابنَ الروميِّ بالزَّندقةِ، وهيَ فرقةٌ معاديةٌ للدينِ الإسلاميِّ، فقد بالغَ بعضهم –كأحمدَ ابنِ أبي شيخ[4]– بأن لا ديانةَ لهُ[5]، وربَّما استندَ مَنِ اتَّهمَ الشّاعرَ بالزَّندقةِ إلى كثرةِ

---

[1] الصفدي، ركان: **ابن الرومي الشّاعر المجدد**، ص49.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 1869/5.

[3] نفسه، 930/3.

[4] أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح بن شيخ بن عمير أبو الحسن، أحد أصحاب أبي العباس ثعلب: ذكره المرزباني في كتاب «المقتبس» وقال ابن بشران في «تاريخه»: في سنة عشرين وثلاثمائة مات أبو بكر ابن أبي شيخ ببغداد، وكان محدثا اخباريا، وله مصنفات، ولا أدري أهو هذا أم غيره، فإن الزمان واحد وكلاهما اخباري، والله أعلم. ولعل ابن بشران غلط في جعله ابن أبي شيخ أو جعله أبا بكر، والله أعلم. ينظر: الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ج458/1.

[5] ينظر: فرّوخ، عمر: **دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، ابن الرومي، علي ابن العباس بن جريح**، ص10.

الزَّنادقةِ الذينَ اعتنقوا الدِّياناتِ الفارسيَّةَ القديمةَ[1]، ففنَّدوا تسرُّبَ هذهِ الأفكارِ لديهِ، بناءً على الأصلِ الفارسيِّ الذي كانَ مرتبطًا بأمِّهِ.

ونلمحُ في بعضِ قصائدهِ ما يعارضُ الدّينَ الإسلاميَّ[2]، ونراهُ يفضِّلُ صلاةَ الفرسِ على صلاةِ المسلمينَ، ويقدِّسُ النَّجمَ والشَّمسَ، ويُمجِّدُ كتابَ المسيحيينَ المقدَّسَ، مفضِّلًا إيّاهُ على القرآنِ الكريمِ، ويحبِّذُ الصَّلاةَ خلفَ رجلِ الدِّينِ المسيحيِّ بدلًا مِنَ الصَّلاةِ خلفَ إمامِ المَسجِدِ، ويظهرُ ذلكَ في هجائهِ لأحدِ الكتَّابِ، واسمهُ دَبس، يقولُ:

لِـــئن أصـــلِّي كصـــلاةِ الفـــرسِ ... للهِ والـــــنَّجمِ وعـــــينِ شـــــمسِ
أو أن أصـــلِّيَ مِـــن وراءِ قـــسٍّ ... قرآنـــــهُ تمجيـــــد روحِ القـــــدسِ
أحســنُ عنـدي مِـن صَـلاةِ الخمـسِ ... خلـــفَ ربـــاحٍ بـــأذانِ دبـــسِ[3]

ويتعرَّضُ للدّينِ –أيضًا– في حديثهِ عنِ الصّيامِ، ونجدهُ يعوفهُ، ويسببُ لهُ المتاعبَ، ونستشّفُ مِن ذلكَ حبَّ ابنِ الروميِّ الشَّديدَ للحياةِ، هوَ الذي جعلهُ يكرهُ الصَّومَ، ويدعو في شعرهِ إلى تسريعِ خطواتهِ، حتَّى لا تفوتهُ مِن ملذّاتِ الحياةِ وأطايبِها مقدارُ أنملةٍ، يقولُ:

إذا بَرَّكـــتَ فـــي صَـــومٍ لِقـــومٍ ... دعـــوتَ لهـــم بتطويـــلِ العـــذابِ
ومـــا التَّبريـــكُ فـــي شَـــهرٍ طويـــلٍ ... يُطـــاولُ يومُـــهُ يـــومَ الحســـابِ
فليـــتَ الليـــلَ فيـــهِ كـــانَ شـــهرًا ... ومـــرَّ نهـــارُهُ مـــرَّ السَّـــحابِ
فـــلا أهـــلًا بمـــانعِ كُـــلِّ خيـــرٍ ... وأهـــلًا بالطَّعـــامِ وبالشَّـــرابِ[4]

ويقولُ في موضعٍ آخرَ:

إنّـــي ليعجبنِـــي تمـــامُ هلالِـــهِ ... وأُســـرُّ بعـــدَ تمامِـــهِ بنحولِـــهِ
شـهرُ يصـدُّ المـرءَ عَـن مشـروبِهِ ... ممـــا يحـــلُّ لـــهُ ومِـــن مأكولِـــهِ
لا أســتثيبُ علــى قبــولِ صــيامِهِ ... حســبي تصــرمهُ ثــواب قبولِــهِ[5]

---

[1] ينظر: عطوان، حسين: **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول**، دار الجليل، بيروت، 1984، ص13.

[2] ينظر: جمعة، جمال: **ديوان الزنادقة**، ط1، منشورات الجمل، بغداد، 2007، ص148–152

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 1220/3.

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 205/1. برّك: البركة، وبرّك عليه أي دعا له بالبركة. ينظر: **لسان العرب**، مادة برك.

[5] ابن الرومي: **الديوان**، 2040/5.

ولا يرى الباحثُ في الأبياتِ التي عرضَها سابقًا حكمًا مطلقًا على زندقتهِ، ولكنَّ الاضطراباتِ التي عاشَها في حياتهِ أفضت بهِ إلى الاستهتارِ والتَّشويهِ في الدِّينِ، لكنَّهُ سرعانَ ما يُبعِدُ الشَّكَّ عن نفسهِ، يقولُ:

يـــا ابـــنَ حســـّان لا تَشُـــكَنَّ فـــي ديـــ نـــــي ولا تقتســـــمكَ فـــيَّ الظنـــــونُ
فهـــــوَ توحـــــيدُ ذي الجـــــلالِ وتصـــــ ـــديقُ الـــذي بلَّـــغَ الرســـولُ الأميـــنُ[1]

وثمّةَ نصوصٌ شعريةٌ يؤكِّدُ فيها أحقيَّةَ الموتِ وشموليتَهُ، وهذا ما سيعالجهُ الباحثُ في المبحثِ الثّاني، للكشفِ عن أسرارِ الموتِ ومفهومهِ، وانعكاسهِ على ذاتهِ.

ثانيًا: أَحَقِّيَّةُ المَوتِ:

لقد عدَّ كثيرٌ منَ الشُّعراءِ الموتَ أمرًا محتومًا، مقدَّرًا مِنَ اللهِ تعالى، انعكست معالمُهُ على إيمانِهم باللهِ، فأحسُّوا بهِ، وخلَّفَ لديهم الشُّعورَ بالوهنِ أمامَ جبروتهِ، واستسلموا لهُ خاضعينَ منقادينَ.

وابنُ الروميِّ عندَ تأمُّلهِ وتفكيرهِ في الموتِ، يلجأُ إلى التَّناصِّ مع القرآنِ الكريمِ، الذي "يجعلُ الأسلوبَ الشِّعريَّ أقربَ إلى أفهامِ النّاسِ وعقولهم، ويُضفِي عليهِ طابَعَ السُّهولةِ والمرونةِ"[2].

فيتناصُّ الشّاعرُ في رثاءِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهر[3] معَ قولهِ تعالى ﴿**كُلُّ مَن عَلَيها فَانٍ وَيَبقَى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإكرامِ**﴾[4]. ويقولُ:

حتّـــى أتـــاهُ رســـولُ المـــوتِ يُؤذِنُـــهُ أنَّ البقـــاءَ لوَجـــهِ الواحِـــدِ الصَّـــمَدِ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 2542/6.

(2) مارون، يوسف: **ابن الرومي شاعر الوجدان الإنساني (دراسة نقدية في مراثيه)**، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2013، ص238.

(3) محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، ولي إمرة خراسان بعد والده إلى أن خرج عليه يعقوب بن الليث الصفّار فحاربه وظفر به يعقوب وبقي عنده في الأسر ثم نجا محمد بن طاهر ولم يزل خاملًا ببغداد إلى أن مات سنة ثمان وتسعين ومائتين. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، ج138/3.

(4) سورة الرحمن: 26-27.

للَّـهِ مِـن هالِـكٍ وافَـى الحِمـامُ بِـهِ أُخرى الحيـاةِ وأخـرَى المجدِ فـي أمـدِ[1]

وحينما يتأمَّلُ الموتَ يستحضرُ قولَهُ تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ**﴾[2]. فيقولُ في رثاءِ بستانِ المغنِّيةِ:

إنّـــا إلـــى اللهِ راجعـــون، لقـــد غـــالَ الـــرَّدى ســـيرةً مِـــنَ السِّـــيرِ
مِـلءَ صـدورِ المجـالسِ اختُلِسـت لا بـل صـدورِ الـورى إلـى الثُّغـرِ[3]

والموتُ في فكرِهِ مقدَّرٌ على الإنسانِ مذ بدأَ اللهُ الخليقةَ على وجهِ البسيطةِ، لا يستطيعُ أن يتجاوزَهُ، وطويلُ العمرِ –في نظرِهِ– مثلُ قصيرِهِ، كلاهما مُختَتَمٌ بالزَّوالِ، والإنسانُ بطبعهِ يظلُّ ساعيًا في هذهِ الحياةِ، مستخلفًا في الأرضِ، لكنَّ كلَّ ما يحقِّقَهُ هو في النِّهايةِ أشياءَ لا قيمةَ لها، و كلُّ ما عمَّرهُ في الأرضِ سيصبحُ كالدِّمنِ يومًا ما، فلا يبقى ولا يبقى ما عمَّرهُ، ويؤكِّدُ ذلكَ في استحضارِهِ قولهُ تعالى: ﴿**أَلَم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ،إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ**﴾[4]. فهؤلاءِ القومُ الذينَ عُرفوا بالجبروتِ والقوَّةِ، لم تبقَ لهم باقيةٌ، ومهما بلغَ الإنسانُ مِنَ القوَّةِ، إلّا أنَّ الموتَ يبقى أقوى منهُ، هذا ما عبَّرَ عنهُ الشّاعرُ في رثاءِ أمِّهِ، يقولُ:

فيـا آمـلًا أن يَخلُـدَ الـدَّهرَ كُلَّـهُ سلِ الدهرَ عَن عادٍ وعَن أختها إرم
يُخَبِّـركَ أنَّ المـوتَ رَسـمٌ مؤبـدٌ ولـن تعدوَ الرَّسمَ القديمَ الـذي رسَم
رأيـتُ طويـلَ العُمـرِ مثـلَ قصـيرِهِ إذا كـانَ مُفضـاهُ إلـى غايـةٍ تُـؤم
ومـا طولُ عمرٍ لا أبـا لـكَ ينقضِـي وما خيرُ عيشٍ قِصرُ وجدانـهِ العَدم
ألا كـلُّ حـيٍّ مـاخلا الله مَيِّـتٌ وإن زعِـمَ التأميـلَ ذو الإفـكِ مـازعم
يـروحُ ويغـدو الشـيءُ يُبنَـى فربَّمـا جنى وهيَهُ البـاني وإن أُغفِلَ انهدم[5]

ويعتمدُ –أيضًا– على ما أُثِرَ عن بعضِ الحكماءِ العربِ، فنراهُ يتناصُّ معَ لبيدِ بنِ ربيعةِ العامريِّ في قولهِ:

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 632/2.

[2] سورة البقرة: 156.

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 915/3.

[4] سورة الفجر: 6–7.

[5] ابن الرومي: **الديوان**، 2302/6.

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللّهُ باطِلُ وكُلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائِلُ[1]

وعندما يتحدَّثُ عن حتميَّةِ الموتِ نراهُ يجذبُ المخاطبَ، ويلفتُ نظرهَ إلى التَّصدُّقِ، فيبدأُ حديثهُ عن زوالِ الحياةِ الدُّنيا التي لا قيمةَ لها، وأنَّ الإنسانَ مهما اكتنزَ مِن أموالٍ وورَّثَها لأولادهِ فمآلُها الزَّوالُ، كالعمرِ مستمرٌ في الفناءِ، ولا يفيدُ الإنسانُ سوى التصدُّقِ بأموالهِ، فهيَ التي تخلِّدهُ في الآخرةِ، وينالُ الثَّوابَ عليها، فيقولُ في عتابهِ لأبي القاسمِ التَّوزِيِّ الشِّطرَنجِيِّ:

ضَلةً لامرئٍ يُشمِّرُ في الجمـ ـعِ لعيشٍ مُشَمِّرٍ للفناءِ
دائبًا يكنزُ القناطيرَ للوا رِثِ، والعُمرُ دائبًا في انقضاءِ
حبَّذا كثرةُ القناطيرِ لو كا نت لربِّ الكنوزِ كنزَ بقاءِ[2]

ويرى الشّاعرُ أنَّ الحياةَ تُغري الإنسانَ بمباهجها، وتنسيهِ الموتَ المحتومَ، وما الحياةُ إلّا ابتلاءاتٌ ومحنٌ مِن ربِّ العالمينَ، فهيَ دارُ بؤسٍ وشقاءٍ، وفي هذا المعنى يستحضرُ قولَهُ تعالى: ﴿ **وَمَا الحَياةُ الدُّنيا إلاَّ مَتاعُ الغُرُورِ**﴾[3]. وقد جاءت هذهِ الآيةُ منسجمةٌ وملتحمةٌ معَ سياقِ الأبياتِ التي يقولُ فيها:

إنَّما هذهِ الحياةُ غرورٌ وشقاءٌ للمعشرِ الأشقياءِ
نحنُ فيها ركبٌ نَؤومٌ بلادًا فكأن قد ألُنا إلى الانتهاءِ
ما عسى نَرتَجِي ونحنُ معِ الأمـ ـوات يُحدَى بِنا أَحَثَّ الحُداءِ[4]

وتعلو نظرتُهُ في تأكيدِ فكرتهِ، ويرى النّاسَ كالشَّجرِ؛ منهم الفروعُ، ومنهم الأصولُ، ولكنَّ الموتَ لا يُبقي على فَرعٍ ولا أصلٍ، فهوَ متعاقبٌ بحركةٍ دائمةٍ صيفًا شتاءً، يسيرُ متوازيًا معَ خطِّ الحياةِ، وكثيرًا ما يقطعهُ، فكلُّ حياةٍ تُتَوَّجُ نهايةً بالموتِ، وهذهِ سنَّةُ اللهِ في الدُّنيا، وسنَّةُ اللهِ ليست هفوةً أبدًا، ويعبِّرُ عن ذلكَ في تعزيتهِ والدةَ عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ[5]، يقولُ:

---

(1) العامري، لبيد بن ربيعة: **الديوان**، تحقيق، حمدو طماس، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2004، ص85.

(2) ابن الرومي: **الديوان**، 69/1.

(3) سورة الحديد: 20.

(4) ابن الرومي: **الديوان**، 119/1.

(5) عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عَبدِ اللَّهِ بنِ طاهِرِ ابنِ الحُسَينِ بنِ مُصعَبٍ أَبُو أَحمَدَ الخُزَاعِيُّ، وَلِيَ إِمرَةَ بَغدادَ.
وَحَدَّثَ عن الزبير بن بكار وعنه الصولي والطبراني، وكان أديبًا فاضلًا، وَمِن شِعرِهِ:
حَقُّ التَّنَائِي بِيَنَ أَهلِ الهَوَى * تَكاتَبٌ يُسخِنُ عَينَ النَّوَى
وَفِي التَّدانِي لا انقَضَى عُمرُهُ * تَزَاوُرٌ يَشفِي غَلِيلَ الجَوَى. ينظر: ابن كثير، الإمام الحافظ ابي الفداء إسماعيل: **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ج11/ 135،134.

تعــزَّوا وقــد نــابتهُمُ كــلُّ نوبــةٍ ... ومــاتوا فعــرُّوا كــلَّ ذي حســراتِ

ومِن سُنَنِ الله التي سنَّ في الوَرى ... إذا جالـــــتِ الآراءُ مُعتبِـــــراتِ

زوالُ أصـولِ النّـاسِ قبـلَ فُـروعِهم ... وتلــكَ وهــذي غيــرُ ذاتِ ثبــاتِ

ليبقَــى جديــدٌ بعــد بــالٍ وكلُّهــم ... سَـيُبلَى علــى الصَّـيفاتِ والشَّـتَواتِ

وإن زالَ فَــرعٌ قبــلَ أصــلٍ فإنَّمــا ... تُعــدُّ مِــنَ الأحــداثِ والفَلتــاتِ

وتلــكَ قضــايا اللَّــهِ جــلَّ ثنــاؤهُ ... وليســت قضــايا اللَّــهِ بــالهفَواتِ

لــيُعلَم ألا مــوتَ ميــتٍ لكَبــرةٍ ... ولا عــيشَ حــيٍّ لاقتبــالِ نبــاتِ[1]

وظلَّتِ الفكرةُ تلحُّ عليهِ، وذلكَ في تعزيةِ القاسمِ؛ لفقدهِ مولودًا، يقولُ:

وتــاللهِ مــا مــولًى لمــولاهُ خالِــدُ ... ولا الحـزنُ مِـن مـولَى لمـولاهُ خالِـدُ

غَـدا المـوتُ والسُّـلوان حتمًـا علـى الـورى ... كِــلا ذا وهــذا للفــريقينِ راصِــدُ

فــلا تجعلَــنَّ المــوتَ نُكــرًا فإنَّمــا ... حياةُ الفتـى سَيرٌ إلـى المـوتِ قاصِدُ

ولا تحســبَنَّ الحُــزنَ يبقــى فإنَّــهُ ... شِـهابُ حريـقٍ واقـدٌ ثـمَّ خامِـدُ[2]

ثمَّ يعودُ مرَّةً أخرى مُستأنِسًا بالقرآنِ الكريمِ في أفكارهِ تجاهَ الموتِ، فيتناصُّ معَ قولِهِ تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الحَياةَ الدُّنيا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُم يُنصَرُونَ**﴾[3]. ويستمرُّ في إلقاءِ وعظهِ وحكمهِ على النّاسِ، ويكررُ مقولةَ إنَّ الدُّنيا فانيةٌ، وإنَّها دارُ الغرورِ والخداعِ، مقابل الآخرةِ التي هيَ دارُ البقاءِ والنَّعيمِ الأبديِّ، ويعيدُ فكرةَ أنَّ إعمارَ الأرضِ تنتهي إلى زوالٍ، ويتناصُّ أيضًا معَ القرآنِ الكريمِ في قصَّةِ قارونَ، وذلكَ في قولِهِ: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كانَ مِن قَومِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيهِم وَآتَينَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصبَةِ أُولِي القُوَّةِ إِذ قَالَ لَهُ قَومُهُ لَا تَفرَح إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ**﴾[4]. فقارونُ الذي ملكَ مِنَ الكنوزِ ما تنوءُ العصبةُ الشديدةُ عن حملِها، والذي ملكَ المالَ حتّى صارَ أغنى أهلِ الأرضِ، صرعهُ في نهايةِ المطافِ الموتُ، يقولُ:

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 376/1.

(2) نفسه، 800/2.

(3) سورة البقرة: 86.

(4) سورة القصص: 76.

حتَّـــى متـــى نشـــتري دنيـــا بـــآخرةٍ ســـفاهةً ونبيـــعُ الفـــوقَ بالـــدُّونِ
مُعَلَّلـــــين بآمـــــال تُخادعنـــــا وزخـرفٍ مِـن غُـرورِ العـيشِ موصـونِ
نبنـــي المعاقـــلَ والأعـــداءُ كامنـــةٌ فينـــا بكـــلِّ طريـــرِ الخـــدِّ مســـنونِ
ونَجمـــعُ المـــالَ نرجـــو أن يُخَلِّـــدَنا وقـــد أبـــى قبلنـــا تخليـــدَ قـــارونِ[1]

ويمكننا عدُّ ابنِ الروميِّ شاعرًا تأمُّليًا في حديثِهِ عنِ الموتِ، يبدو ذلكَ في قولِهِ:

كـــــلُّ زرعٍ فإنَّـــــه للحصـــــادِ والمنايـــــا روائـــــحٌ وغـــــوادِي[2]

ونرى في ابنِ الروميِّ ذاكَ الإنسانَ الخاشعَ المتضرِّعَ إلى اللهِ، فيقدِّمُ لنا نظراتٍ وعبراتٍ دينيةً، وتأمُّلاتٍ وجدانيةً، ويسردُ لنا مصيرَ الإنسانِ بعدَ الموتِ، ويلجأُ إلى التَّناصِّ القرآنيِّ، ويستحضرُ في ذلكَ قولَهُ تعالى: ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدعُونَ رَبَّهُم خَوفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُون**﴾[3]، يقولُ:

تتجـــــافى جنُـــــوبُهم عَـــــن وَطـــــئِ المضـــــاجعِ
كلُّهـــم بـــينَ خـــائفٍ مســـــــتجيرٍ وطـــــــامعِ
تركـــوا لـــذَّة الكَـــرى للعيـــــــونِ الهواجـــــــعِ
ورعَـــوا أنجـــمَ الـــدُّجى طالعًـــــا بعـــــدَ طـــــالعِ[4]

ويجدُ الباحثُ ابنَ الروميِّ في أبياتٍ أخرى يقتحمُ عالمَ الموتِ بشكلٍ أكثر عمقًا، ويتحدَّثُ عنِ القبرِ، وعنِ الدُّودِ الذي سيأكلُ الإنسانَ، وعنِ التُّرابِ الذي هوَ فرشُ الإنسانِ ووسادُهِ، ويستخدمُ مفرداتٍ وألفاظٍ تقرِّبُ الإنسانَ إلى عالمِ الموتِ، فهوَ كما ذكرهُ ابنُ خلِّكان "صاحبُ النَّظمِ العجيبِ، والتَّوليدِ الغريبِ، يغوصُ على المعاني النّادرةِ، فيستخرجُها مِن مكامنِها، ويبرزُها في أحسنِ صورةٍ، ولا يتركُ المعنى حتّى يستوفيهِ إلى آخرِهِ، ولا يُبقي فيهِ بَقيَّةً"[5]، يقولُ:

نبـــلُ الـــرَّدى يقصِـــدن قصـــدَك فأحِـــدَّ قبـــل المـــوت حـــدك

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 2464/6-2465.

[2] نفسه، 661/2.

[3] سورة السجدة: 16.

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 1482/4.

[5] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأبناء الزمان**، ج3، ص358.

قـــد عـــدَّ قبلَـــكَ مَـــن رأيـــ ـــت ولســـتَ تلبـــثُ أن يَعُـــدَّك
فـــدعِ البِطالـــةَ والغـــوا ـــيـــةَ جانبًـــا وعليـــكَ رُشـــدك
فكـــأنَّنِي بـــك قـــد نُعيـــ ـــتُ وقـــد بكـــى البـــاكُون فقـــدَك
وتركـــتَ منزِلَـــكَ المشيَّـــ ـــدَ مُعَطَّـــلًا وســـكَنتَ لحـــدَك
وخلـــوتَ فـــي بيـــتِ البلـــى وخَـــلا بِـــكَ المَلكـــانِ وحـــدك
وســـلاكَ أهلُـــكَ كلُّهـــم ونســـوا علـــى الأيـــامِ عَهـــدك
يتمتَّعُـــونَ بمـــا جمعـــ ـــتَ ولا يَـــرَونَ عليـــهِ حمـــدَك
مُتمهّـــدون وأنـــتَ تحـــ ـــتَ الـــرَّمس يَرعَـــى الـــدُّودُ جِلـــدك
قـــد ســـلَّموكَ إلـــى الضَّريـــ ـــحِ ووسَّـــدُوا بـــالتّربِ خَـــدَّك
كـــم قـــد دَفَنـــتَ أحِبَّـــةً حَلُّـــوا محـــلَّ الـــنَّفسِ عنـــدك
انظُـــر إلـــى أهلـــيهِمُ فكـــذلكَ البـــاقونَ بعـــدَك
فـــانظُر لنفسِـــكَ مُكمِـــلًا فيمـــا يُحـــبُّ اللَّـــهُ جُهـــدَك[1]

خلاصةُ القولِ، هناكَ فرقٌ بينَ حديثِ ابنِ الروميِّ عنِ الحياةِ وتشبُّثِهِ بها مِن جهةٍ، وحديثِهِ عنِ الموتِ مِن جهةٍ أخرى، ففي حديثِهِ عنِ الحياةِ –كما رأى الباحثُ– يدعو إلى الإكثارِ مِنَ الملذَّاتِ، ويمارسُ دورَ الماجنِ اللَّاهي، وفي حديثِهِ عنِ الموتِ يدعو الإنسانَ إلى الالتزامِ وتركِ الملذَّاتِ، ويتقمَّصُ دورَ الواعظِ المتبتِّلِ الذي يتَّخِذُ القرآنَ مصدرًا أوليًا في استنباطِ المعاني منهُ، ولعلَّ هذا الاختلافَ ناتجٌ عنِ الاضطرابِ الذي عاشهُ ابنُ الروميِّ، الذي لم يشمل أمورَهُ العقديَّةِ فحسبُ، بل امتدَّ ليشملَ بعضَ آرائِهِ كرأيِهِ في الحياةِ والموتِ.

ثالِثًا: القَلَقُ:

انتابَ الشُّعراءُ القلقَ مِنَ الموتِ، فولَّدَ أثرًا في نفوسهم، انعكست معالمهُ على أشعارهم، وابنُ الروميِّ مِنَ الذينَ أرَّقهم الموتُ، وشعروا بالهيبةِ تجاههُ، فهوَ "رجلٌ سقيمُ الجسمِ، مختلُّ العقلِ، مختلُّ الأعصابِ، حادُّ الإحساسِ، سريعُ التَّهيُّجِ، جامعُ الخيالِ، كثيرُ المخاوفِ، واسعُ التَّصوُّرِ إلى حدٍ ملأَ عقلَهُ بالوسواسِ والأوهامِ..."[2].

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 5/1869–1870.

[2] النويهي، محمد: **ثقافة الناقد**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969، ص78.

ومثلما وجدَ الباحثُ في الصُّورِ الفوتوغرافيةِ التي التقطَها ابنُ الروميِّ مِن عالمِهِ، صورًا تعجُّ بالحركةِ والحيويَّةِ والنَّشاطِ، ثمَّةَ صورٌ أخرى –التقطها– تُجسِّدُ الرُّعبَ في داخلهِ، ذلكَ مردهُ غيابُ الصُّورِ التي تفيضُ بملذَّاتِ الحياةِ، فأضحت تعصفُ بريحِ الموتِ العاصفِ، التي عصفت نوائبَها في داخلهِ، وتسرَّبت عبرَ شراييِنهِ، وَنَخَرَت قواهُ، وأسدلت ستائرَ الحياةِ عليهِ.

وكما أملى لا وعي الشّاعرِ عليهِ معادلاتٍ موضوعيةً تساوي التَّشَبُّثَ بالحياةِ، كذلكَ فإنَّ لا وعي الشّاعرِ أملى عليهِ معادلاتٍ موضوعيةً تساوي القلقَ مِنَ الموتِ، والمتمثِّلةُ في الطَّبيعةِ والبشرِ وفُقدانِ الشَّبابِ، ومِن هذهِ المحاورِ يستنبطُ الباحثُ قلقَ الشّاعرِ، بناءً على القراءةِ الواعيةِ لشعرهِ، وتبيانِ الفنّياتِ الموضوعيَّةِ فيهِ، ورَبطِ ذلكَ بنفسيَّتهِ وتفكيرِهِ.

أ- القَلَقُ مِنَ الطَّبيعَةِ:

يندغمُ ابنُ الروميِّ معَ الطَّبيعةِ، فيشاركُها أفراحَها، وأتراحَها، ومسرّاتَها، وأحزانَها، ويتألَّمُ لغروبِها[1]، فيسقطُ قلقَهُ مِنَ الموتِ على غروبِ الشَّمسِ التي تنظرُ إلى الدُّنيا نظرتَها الأخيرةَ، وتُلقي الوداعَ على هذا العالَمِ المُسجَّى بالموتِ، ويسقطهُ –أيضًا– على النُّوارِ التي أصابَها المرضُ، ووضعت خدَّها إلى الأرضِ إيذانًا بذبولِها وانتهاءِ حياتِها، يقولُ معبِّرًا عن ذلكَ:

إذا رنَّقت شمسُ الأصيلِ ونفَّضت ... على الأفقِ الغربيِّ ورسًا مُذعذعا[2]
وودَّعت الدُّنيا لتقضيَ نحبها ... وشوَّل باقي عُمرها فتشعشَعا
ولاحظتِ النُّوارَ وهيَ مريضةٌ ... وقد وضعت خدًّا إلى الأرضِ أضرَعا[3]

ولكنَّهُ إبَّانَ ذلكَ يحاولُ أن يتمسَّكَ بالحياةِ أكثرَ، لذلكَ وجدهُ الباحثُ يقلبُ الصُّورةَ رأسًا على عقبٍ، ففي نفسِ الموضعِ مِنَ هذهِ القصيدةِ، بعدَ أن عرضَ الشّاعرُ للموتِ، أخذَ الصورةَ نفسَها، وجعلَها مزدانةً بالحياةِ، يقولُ:

---

[1] عطوي، فوزي: **ابن الرومي شاعر الغربة النفسية**، ط2، دار الفكر العربي، بيروت، 1998، ص47-48.

[2] الورس: نبات أصفر، ينظر: **لسان العرب**، مادة ورس.

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 1475/4.

وقد ضربت في خُضرةِ الرَّوضِ صُفرةٌ ... مِنَ الشَّمسِ فاخضرَّ اخضرارًا مُشعشَعا
وأذكى نسيمَ الروضِ ريعانُ ظلِّهِ ... وغنَّى مغنِّي الطيرِ فيهِ فسجَّعا
وغرَّد رِبعيُّ الذُّبابِ خلالهُ ... كما حَثحثَ النشوانُ صَنجًا مُشرَّعا
فكانت أرانينُ الذُّبابِ هناكُمُ ... على شَدواتِ الطَّيرِ ضَربًا موقَّعا[1]

وهذا التَّداخلُ الذي كشفت عنهُ القصيدةُ، يُنبِئُنا عن عالمِ ابنِ الروميِّ الداخليِّ، المتشابكِ والمتضاربِ موتًا وحياةً، فيعبِّرُ عن قلقهِ مِنَ الموتِ تارةً، ويلجأُ بعدَها مباشرةً إلى التَّعبيرِ عن حبِّهِ للحياةِ تارةً أخرى، ففي خِضَمِّ الصُّوَرِ التي اقتنصَ منها الموتَ لم يُغفلِ الصُّورَ التي تعكسُ الحياةَ، فاقتنصها ووظَّفَها؛ ليعبِّرَ عن تَشَبُّثِهِ بِها، فرسمَ لنا صورةَ الطَّيرِ المُغَرِّدِ، وحتَّى الحشرات التي تعيش على زهر الربيع رأى فيهِ عنصرًا مِن عناصرِ الحياةِ في أثناءِ تنقُّلِها بينَ الأزهارِ، ومثلُ هذا التَّصوُّرِ يُنبِئُ عَن خوفٍ تليدٍ عميقٍ مِنَ الموتِ، وجوعٍ شديدٍ للحياةِ.

ويضعُ ابنُ الروميِّ لنا هاجسَهُ النفسيَّ في القلقِ مِنَ الموتِ، ويسقطهُ على الطَّيرِ؛ لتشابهِ الحالةِ بينَ الإنسانِ الذي يداهمهُ الموتُ بِلا سابقِ إنذارٍ، والطَّيرِ التي كانت آمنةً نائمةً، فداهمَها الشّاعرُ وصاحباهُ بِلا سابقِ إنذارٍ، "وما جماعةُ الطَّيرِ هذهِ سِوى تلكَ الجماعةِ البشريَّةِ التي تتساقطُ في عصرِهِ وفي كلِّ عصرٍ صَرعَى الظُّلمِ والتَّسَلُّطِ والقَهرِ"[2]، يقولُ في ذلكَ:

وقد أغتدي للطَّيرِ والطَّيرُ هُجَّعٌ ... ولو أوجست مَغدايَ ما بِتن هُجَّعا
بِخلَّينِ تمّا بي ثلاثةُ إخوةٍ ... جُسومُهمُ شتَّى وأرواحُهم مَعا
بني خلَّةٍ لم يُفسدِ المَحلُ بينهُم ... ولا طمِعَ الواشونَ في ذاكَ مَطمعا[3]

وأسقطَ ابنُ الرّومي قلقهُ منَ الموتِ على الموجِ الهائجِ والرّيحِ العاصفِ، يقولُ:

وكم يومٍ أراني الموتَ فيهِ ... جنونُ الموجِ في هوجِ الجنوبِ
فمن يطرب إذا هبَّت جنوبٌ ... فلستَ لها -وعيشِك- بالطروبِ
إذا سقطت خشيتُ لها هُبوبًا ... وإن هبَّت جزعتُ من الهبوبِ[4]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 1476/4

[2] شرف الدين، خليل: **ابن الرومي**، ص 78.

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 1474/4.

[4] نفسه، 1/ 225، 226.

والمتأملُ في الأبياتِ السّابقةِ يعي نفسيَّةَ ابنِ الرّومي المذعورةَ منَ الموتِ، فقد أصابهُ الجنونُ من هيجانِ الموجِ وهبوبِ الرّياحِ، ونطالعُ من هذهِ الأبياتِ غيابَ الحياةِ وحضورَ الموتِ، فغابت ملذّاتُ الحياةِ من لهوٍ وطربٍ، وحضرَ الموتُ في صورةِ الموجِ والرّيحِ، ولا شكَّ أنَّ الشّاعرَ قد استلَّ هذهِ الصورةَ من واقعهِ، فأجادَ استخدامَها، وانتقاءَ ألفاظِها التي غدت ملتحمةً معَ سياقِ الأبياتِ، فدلَّت على جزعهِ منَ الموتِ، وتتمثلُ هذهِ الألفاظُ في: (الموت، جنون، سقطت، خشيتُ، جزعتُ).

ويبدو خوفُهُ مِنَ الموتِ في قصيدةٍ لهُ تربو على مئةِ بيتٍ يمدحُ فيها أحمدَ بن ثوابة[1]، استهلَّها بتبيانِ موقفهِ المضادِّ للسَّفرِ عبرَ البرِّ والبحرِ، وقد بنى قصيدتَهُ بناءً متماسكًا، وانتقى ألفاظَهُ مِن معجمٍ مأساويٍّ، ومنها: (التباريحُ، المجادبُ، تمايلُ شاربٍ، ناكبٌ، مرثٌّ بناؤهُ، غريقٌ، لاغبٌ، متعبٌ، خوفٌ، جوعٌ، وحشةٌ، يؤرقني، انقضَّت، يضربُ، بسوطي عذابٍ، بلاءُ البرِّ...)، ويظهرُ ذلكَ في قولهِ:

لقِيتُ مِنَ البَرِّ التّباريحَ بعدما	**لقيتُ مِنَ البحرِ ابيضاضَ الذوائبِ**[2]
سُقيتُ على ريٍّ بهِ ألفَ مَطرةٍ	**شُغفتُ لبغضِيها بحبِّ المجادِبِ**
ولم أُسقَها بل ساقَها لمكيدتِي	**تَحامُقُ دهرٍ جَدَّ بي كالمُلاعبِ**
إلى اللَّهِ أشكو سخفَ دهري فإنَّهُ	**يُعابثني مذ كنتُ غيرَ مُطائبِ**
أبَى أن يُغيثَ الأرضَ حتَّى إذا	**ارتمت برحلي أتاها بالغُيوثِ السواكبِ**
سقى الأرضَ مِن أجلي فأضحت مَزِلَّةً	**تَمايَلُ صاحيها تمايُلَ شاربِ**
لتعويقِ سيري أو دحوضِ مَطيَّتي	**وإخصابِ مُزوَّرٍ عنِ المجدِ ناكبِ**
فملتُ إلى خانٍ مُرثٍّ بناؤُه	**مميلَ غريقِ الثوبِ لهفانَ لاغِبِ**[3]
فلم ألقَ فيهِ مُستراحًا لمُتعَبٍ	**ولا نُزُلًا أيانَ ذاكَ لساغِبِ**[4]

---

[1] هو أحمد بن محمد بن ثوابة بن يونس أبو العباس الكاتب، أصلهم نصارى وقيل إن يونس يعرف بلبابة، وكان حجاما، وقيل أمهم لبابة. ومات أبو العباس سنة سبع وسبعين ومائتين. وقال الصولي: مات في سنة ثلاث وسبعين. ينظر: الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ج436/1.

[2] التباريح: الشدائد، ينظر: **لسان العرب**، مادة برح، الذوائب: جمع ذؤابة ومعناها منبت الناصية من الرأس، ينظر: **لسان العرب**، مادة ذوب.

[3] لاغب: الإعياء، ينظر: **لسان العرب**، مادة لَغَبَ.

[4] ساغب: جائع، ينظر: **لسان العرب**، مادة سَغِبَ.

فما زلتُ في خوفٍ وجوعٍ ووحشةٍ ... وفي سَهَرٍ يستغرقُ الليلَ واصبِ
يؤرِّقني سَقفٌ كأنّيَ تحتَهُ ... مِنَ الوكفِ تحتَ المُدجِنات الهواضبِ
تراهُ إذا ما الطينُ أثقلَ متنَهُ ... تَصِرُّ نواحيهِ صريرَ الجنادبِ
وكم خانِ سَفرٍ خانَ فانقضَّ فوقهم ... كما انقضَّ صقرُ الدّجنِ فوقَ الأرانبِ
ولم أنسَ ما لاقيتُ أيّامَ صحوِهِ ... مِنَ الصّرِّ فيهِ والثُّلوجِ الأشاهبِ
وما زالَ ضاحِي البَرِّ يضربُ أهلَهُ ... بسوطَي عذابٍ جامدٍ بعدَ ذائبِ
فإن فاتَهُ قَطرٌ وثلجٌ فإنَّهُ ... رَهينٌ بسافٍ تارةً أو بحاصبِ[1]
فذاكَ بلاءُ البرِّ عنديَ شاتيًا ... وكم ليَ مِن صيفٍ بهِ ذي مثالبِ
ألا رُبَّ نارٍ بالفضاءِ اصطليتُها ... مِنَ الشَّمسِ يودي لَفحُها بالحواجبِ
إذا ظلَّتِ البيداءُ تطفو إكامُها ... وترسُبُ في غَمرٍ مِنَ الآلِ ناضبِ[2]

وأمّا خوفُهُ مِنَ البحرِ، فقد ذكرهُ إيليا الحاوي في قولِهِ: "إنَّ الشّاعِرَ يكادُ لا يذكرُ البحرَ حتَّى يتذكَّرُ الروعَ، أي خوفه مِن أهوالِ ركوبِه، بلِ الخوفِ مِنَ النَّظَرِ إليهِ..."[3]، وتكثرُ الألفاظُ التي توحي بجزعهِ مِنَ البحرِ، والمتمثِّلةُ في: (خافَ، هولُ البحرِ، شرُّ المهاربِ، لُهاثٌ، مميتٌ، يغرقُني، الحتوفُ، قتلي، اللِّصُ، وردُ الشَّواربِ، الذؤبانُ، الأسودُ، بلاءُ البحرِ، الرَّوعُ، المجانبُ، أخشى الرَّدى، فرسانُ بُهمةٍ، السُّيوفُ القواضبُ...)، يقولُ:

فدع عنكَ ذكرَ البَرِّ إنِّي رأيتُهُ ... لمَن خافَ هولَ البحرِ شَرَّ المَهاربِ
كِلا نُزُلَيهِ صيفُهُ وشتاؤُهُ ... خلافٌ لما أهواهُ غيرُ مُصاقبِ
لُهاثٌ مُميتٌ تحتَ بيضاءَ سُخنَةٍ ... وَرِيٌّ مُفيتٌ تحتَ أسحَمَ صائبِ
يجفُّ إذا ما أصبحَ الرِّيقُ عاصبًا ... ويُغدقُ لي والرِّيقُ ليسَ بعاصبِ
ويمنعُ منِّي الماءَ واللَّوحُ جاهدٌ ... ويُغرِقني والريُّ رَطبُ المحالِبِ
وما زالَ يَبغيني الحتوفَ مُوارِبًا ... يحومُ على قتلِي وغيرَ مُواربِ
فطورًا يُغادِيني بلصٍّ مُصَلِّتٍ ... وطورًا يُمَسِّيني بوردِ الشَّواربِ
إلى أن وقانِي اللَّهُ محذورَ شرِّهِ ... بعزَّتِهِ واللَّهُ أغلبُ غالبِ
فأفلتُّ مِن ذُؤبانِهِ وأُسودِهِ ... وحُرَّابِهِ إفلاتَ أتوب تائبِ

---

[1] حاصب: سحاب يرمي بالبرد والثلج، ينظر: **لسان العرب**، مادة حَصَبَ.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 1/214-215.

[3] الحاوي، إيليا سليم: **ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره**، ص180.

وأمّـــا بـــلاءُ البحـــرِ عنـــدي فإنَّـــهُ ... طـــواني علـــى روعٍ مـــعَ الـــرُّوحِ واقـــبِ
ولـو ثـابَ عقلـي لـم أدع ذكـرَ بعضـهِ ... ولكنَّـــه مِـــن هولِـــهِ غيـــرُ ثائـــبِ
وَلِـم لا ولـــو أُلقيـــتُ فيـــهِ وصـــخرة ... لوافيـــتُ منـــهُ القعـــرَ أولَ راســـبِ
ولـــم أتعلَّـــم قـــطُّ مِـــن ذي ســـباحةٍ ... سِـوى الغـوصِ، والمضـعوفُ غيـرُ مغالِـبِ
فأيســرُ إشــفاقي مِــنَ المــاءِ أنَّنِــي ... أمــرُّ بـــهِ فـــي الكـــوزِ مـــرَّ المجانـــبِ
وأخشـى الـرَّدى منـهُ علـى كـلِّ شـاربٍ ... فكيـــفَ بأمنيـــهِ علـــى نفـــسِ راكـــبِ
أظـــــلُّ إذا هزَّتـــــهُ ريـــــحٌ ولألأت ... لـــهُ الشَّـــمسُ أمواجًـــا طِـــوالَ الغـــواربِ
كـــأنِّي أرى فـــيهنَّ فُرســـانَ بُهمـــةٍ ... يُليحـــونَ نحـــوي بالسِّـــيوفِ القواضِـــبِ[1]

ونفسيَّةُ ابنِ الروميِّ تفسِّرُ تطيُّرَهُ الشَّديدَ النّاجمَ عنِ الخطوبِ الفادحةِ التي أضلَّت صوابَهُ، فسكنَ إلى هواجسِ النَّفسِ ووساوسِ الشُّعورِ[2]، ولا عجبَ مِن تَطيُّرِهِ بِكلِّ ما لا يرغبُ بهِ، وحتَّى مِنَ الشَّجَرِ اليابسِ الذي لا ثمرَ لهُ، فهوَ يُعادلُ عندهُ الموتَ الذي تجسَّدَ في صورةِ الأفاعي، وتخيلها تخرجُ مِنَ الشَّجَرَةِ، يقولُ:

أيـــا شـــجرًا بـــينَ الرَّســـيسِ فعاقـــلٍ ... منحتُـــك ذمِّـــي صـــادقًا غيـــرَ كـــاذِبِ
نَـــدَيتَ ولـــم تـــورق ولســـتَ بمُثمـــرٍ ... فكـــن غَرَضًـــا مُســـتهدَفًا للنوائِـــبِ
فمـــا فيـــكَ مِـــن ظِـــلٍّ لغُـــلٍّ ظهيـــرةٍ ... ومـــا فيـــكَ مِـــن جَـــدوى لِجـــانٍ وحاطِـــبِ
وفيـــكَ علـــى حِرمانِـــكَ الخيـــرَ كلَّـــهُ ... مِـــنَ الشـــوكِ مـــا لا وَكـــنَ فيـــهِ لآئِـــبِ
وأحســـبُ ذاكَ الشَّـــوكَ لا شـــكَّ بينـــهُ ... أَفـاعٍ فـلا أُسـقيتَ صـوبَ السـحائِبِ[3]

وبناءً على ما سبقَ، نستدلُّ على قلقِ ابنِ الروميِّ مِنَ الموتِ اعتمادًا على ما قالَهُ عالمُ النَّفسِ سيجموند فرويد عَنِ اللاشُعُورِ الفردِيِّ[4] في تحليلِ الدَّوافعِ، فنرى اللاشُعُورَ هوَ الذي حتَّم على ابنِ الروميِّ النَّظرَ إلى مظاهرِ الطَّبيعةِ، هذهِ النَّظرةِ الملاصقةِ للموتِ قلقًا منهُ، ونذهبُ إلى أبعدِ مِن ذلكَ، ونرى أنَّ انسجامَ القارئِ معَ قصائدِهِ ما هوَ إلّا نوعٌ مِنَ التَّواصُلِ اللاشعوريِّ بينَ الشّاعرِ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 215/1-216.

(2) خفاجي، محمد عبد المنعم: **الحياة الأدبية في العصر العباسي**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص208.

(3) ابن الرومي: **الديوان**، 292/1.

(4) فضل، صلاح: **مناهج النقد المعاصر**، ط1، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص67.

والقارئِ في القلقِ مِنَ الموتِ، وهذا اعتمادًا على ما قالَهُ عالمُ النَّفسِ يونج ونقصدُ بِهِ اللاشُعُورَ الجماعيَّ [1].

ب- القَلَقُ مِنَ البَشَرِ:

لم يقتصر انعكاسُ نفسيَّتِهِ الوجلةِ مِنَ الموتِ على الطَّبيعةِ، ففي إطارِها العام شَمِلَتِ الطَّبيعةَ وما تضمَّنَتهُ مِن عناصرَ، وفي إطارِها الاجتماعيِّ شملتِ النّاسَ والسُّخريَةَ منهم، وابنُ الروميِّ جمعَ بينَ السُّخريةِ الضّاحكةِ والحزينةِ المُرَّةِ في شعرِهِ[2]، وأسبغَ عليها الموتَ وصفاتِهِ، فنراهُ يسخرُ مِن أحدِ أفرادِ مجتمعِهِ يُدعى ابنُ طالبِ الكاتبِ، ويتطيَّرُ مِن لونِهِ الأزرقِ المُحمَرِّ، فعيونُهُ الزَّرقاءُ كعيونِ الأعداءِ مِنَ الرُّومِ، ولونُهُ الأحمرُ كالأعاجمِ، وكِلا اللونينِ يدُلّانِ على الشُّؤمِ[3]، وهُما لونانِ مكروهانِ عندَ العربِ[4] استخدمَهُما الشّاعرُ، وخَلَعَهُما عَلَيهِ، ونَعَتَهُ بِوَصفِ المَشؤومِ، وعقدَ صلةً بينَ اسمِ أبيهِ (طالب)، وبينَ المَنِيَّةِ (الموت)، ودعا للفرارِ مِنَ الأبِ والابنِ معًا؛ لأنَّهُما جالبانِ للموتِ، يقولُ:

أُحذِّرُ أَهلَ الأرضِ حَدَّ ابنِ طالبٍ ... فما زالَ مشحوذًا على مَن يُصاحِبُ
وقد جُرِّبت منهُ على آلِ مَخلدٍ ... تجاربُ ليست مثلهنَّ تجاربُ
أزيرقُ مشؤومٌ أحيمرُ قاشِرٌ ... لأصحابِهِ نحسٌ على القومِ ثاقِبُ
وهل أَشبهَ المرِّيخَ إلّا وفعلَهُ ... لفعلِ شبيهِ السوءِ شِبهٌ مُقارِبِ
أعوذُ بعزِّ اللَّهِ مِن أن يضُمَّنِي ... وإيّاهُ في الأرضِ البسيطةِ جانِبُ
شبيهُ قُدارٍ بل قدارٌ شبيهُهُ ... وإن قيلَ كلِّيمٌ وإن قيلَ كاتِبُ
وهل يتمارَى النّاسُ في شُؤمِ كاتِبٍ ... لعينيهِ لونُ السَّيفِ والسَّيفُ قاضِبُ
ويُدعَى أَبوهُ طالِبًا وكفاكُمُ ... بهِ طِيرةً أنَّ المنيَّةَ طالِبُ
ألا فاهرُبوا مِن طالِبٍ وابنِ طالِبٍ ... فمِن طالِبٍ مثليهما طارَ هارِبُ[5]

---

[1] فضل، صلاح: **مناهج النقد المعاصر**، ص75.

[2] أدونيس، علي أحمد سعيد: **مقدمة للشعر العربي**، ط3، دار العودة، بيروت، 1979، ص39-40.

[3] ينظر: حسن، نارمين محب عبد الحميد: **توظيف اللون في شعر ابن الرومي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر، ص63.

[4] ينظر: عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، 201/2.

[5] ابن الرومي: **الديوان**، 288/1.

ولا يَقصِرُ ابنُ الروميِّ سُخرِيَتَهُ مِنَ الشَّكلِ فحسب، وإنَّما يتعدَّى ذلكَ؛ ليشملَ الأصواتَ، فقد رأى في صوتِ الغانيةِ حشرجةً تُنذِرُ بالموتِ، ورأى في نغماتِها أنفاسَ المُسَجّى على فِراشِ الموتِ، يقولُ:

أبـــحُّ فيـــهِ شـــذورَ حشـــرجَةٍ منظومَـــةٍ فـــي مقـــاطِعِ الـــنَّغَمِ[1]

وابنُ الروميِّ يسخرُ مِن نفسهِ، ويتطيَّرُ منها، وتجيءُ هذهِ السُّخريةُ؛ لأنَّهُ يسخرُ مِنَ النّاسِ وينعتُهم بأصحابِ الرَّزايا، وأنَّ نفسهُ في النِّهايةِ سَتَؤولُ إلى القَبرِ، يقولُ:

أبـت نفسِـي الهُـلاعَ لـرزءِ شـيءٍ كفـى شـجوًا لنفسِـي رِزءُ نفسِـي
أَتهلَـــعُ وُحشَـــةً لِفـــراقِ إلـــفٍ وقـــد وطَّنتُهـــا لِحُلُـــولِ رَمـــسِ[2]

وهناكَ فئةٌ مِنَ النّاسِ لم يقوَ على السُّخريةِ مِنها، فلجأَ إلى حيلةٍ لإسقاطِ الموتِ عَليها، وهذهِ الحيلةُ هي الخوفُ، وتَتَّصلُ بأصحابِ النُّفوذِ والسُّلطةِ، فهم عندهُ أسودٌ تقترفُ فِعلَ الموتِ، ويصاحبهم في أدواتِهم القِتاليةِ المُدَجَّجَةِ، وحتّى في لعابِهم، وكأنَّهم خُلِقُوا مِن جِبِلَّةِ الموتِ، يقولُ في الخوفِ مِنَ الأتراكِ:

تـــرى شـــبهَ الآســـادِ فـــيهم مبيّنًـــا ولكـــنَّهم أدهَـــى دهـــاء وأنكـــرُ
وجـــوههُمُ عنـــدَ اللقـــاءِ وجوههـــا وألحـــاظُهم ألحاظهـــا حـــينَ تنظـــرُ
هُـــم هـــيَ لـــولا إربُهـــم وحلـــومهم لهـــم منظـــرٌ منهـــا مَهيـــبٌ ومخبـــرُ
لهـــم عُـــدَّةُ تكفـــيهُمُ كـــلَّ عُـــدَّةٍ بنـــاتُ المنايـــا والحِنـــيُّ المـــدثّرُ
هـــيَ القـــوَّةُ الحـــقُّ المســـمّاةُ قـــوة بتســـميةِ القـــرآنِ فيمـــا يُفَسِّـــرُ
يُزلُّـــونَ عَـــن أكبـــادِ كـــلِّ حَنِيَّـــةٍ خِفافًـــا مـــعَ الآجـــالِ تعلـــو وتقصُـــرُ
نُواهـــا نُـــواهم فـــي الرمايـــا كأنَّمـــا مواقعُهـــا فيمـــا يشـــاؤونَ يُقـــدَرُ
لهـــا ألسُـــنٌ مـــا تســـتفيقُ لُهاتهـــا يكـــادُ لُعـــابُ المـــوتِ مـــنهنَّ يقطُـــرُ
ظِمـــاء إلـــى وِردِ الـــدِّماءِ نواهـــلٌ لهـا مَـوردٌ مِـن غيـرِ مأتـاهُ نَصـدُرُ[3]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 2242/6.

[2] نفسه، 1168/3.

[3] نفسه، 979/3.

ت- القَلَقُ مِن فُقدانِ الشَّبابُ:

فقدانُ الشَّبابِ مِن أكبرِ الرَّزايا التي ألمَّت بالشّاعرِ، وحينما يذكرهُ في شعرهِ يعدُّ نفسَهُ ذاكَ المرثيَّ الذي نزلَ بهِ الموتُ، ولا يجدُ أحدًا يبكي عليهِ ويعزِّيهِ على مُصابهِ الجللِ، وما حديثهُ عنِ الشَّبابِ في زوايا مختلفةٍ مِن شعرهِ إلّا جزعًا مِنَ الموتِ وتَشَبُّثًا بالحياةِ[1].

والنّاظرُ في قصائدِ ابنِ الروميِّ حولَ فقدانِ الشَّبابِ، يجدُ فيها بكائيةً مرَّةً، وصورةً مهيبةً تَكشِفُ عَن خَبايا نفسيَّتِهِ الوجلةِ مِنَ الموتِ، وهذا ما يبدو جليًّا في قصيدةٍ لهُ يمدحُ فيها صاعدَ بن مخلدٍ[2]، نجدُ فيها ألفاظًا متناسقةً تجمعُ الشَّبابَ والموتَ معًا، ومنها: (جمرةٌ، تتوقدُ، رَزِيَّةٌ، ماءُ الشُّؤونِ، فاضَ دمعٌ، فقدُ، طعمُ الموتِ، تفطَّرُ، يبكي، مجلودهُ، عزاؤهُ، رُزئتُ، الرَّزايا، مُعجَّلٌ...)، ونجدُ تكرارًا لافتًا لكلمةِ الشَّبابِ وانسجامِها معَ تلكَ الألفاظِ التي أعطت موقفًا صادقًا للشّاعرِ عبَّرَ فيهِ عن جزعهِ الشَّديدِ مِن فقدانِ الشَّبابِ الذي يعادلُ عندهُ فقدانَ الحياةِ، والولوجَ إلى مرحلةٍ جديدةٍ هيَ الموتُ، يقولُ:

أبَـــينَ ضُـــلوعي جمـــرةٌ تتوقَّـــدُ ... علـى مـا مضـى أَم حسـرَةٌ تتجـدَّدُ
خليلـــيَّ مـــا بعـــدَ الشَّـــبابِ رَزِيَّـــةٌ ... يُجَـــمُّ لهـــا مـــاءُ الشـــؤونِ ويُعتَـــدُ
فـــلا تَلحَيـــا إن فـــاضَ دمـــعٌ لفقـــدهِ ... فَقَـــلَّ لـــهُ بحـــرٌ مِـــنَ الـــدَّمعِ يُثمـــدُ
ولا تعجبـــا لِلجَلـــدِ يبكـــي فربَّمـــا ... تفطَّـرَ عَـن عـينٍ مِـنَ المـاءِ جَلمـدُ
شـــبابُ الفتـــى مجلـــودُهُ وعـــزاؤهُ ... فكيـــفَ وأنَّـــى بعـــدَهُ يتجلَّـــدُ
وفَقـدُ الشَّـبابِ المـوتُ يوجـد طعمُـهُ ... صُراحًا وطعمُ المـوتِ بـالموتِ يُفقدُ
رُزِئـتُ شـبابي عَـودةً بعـد بَـدأةٍ ... وَهُـــنَّ الرزايـــا بادئـــاتٌ وعُـــوَّدُ
كفـــى حَزَنًـــا أنَّ الشَّـــبابَ مُعَجَّـــلٌ ... قصـــيرُ الليـــالي والمَشـــيبُ مخلَّـــدُ
إذا حَـلَّ جـارَى المـرءُ شـأوَ حياتِـهِ ... إلى أن يضمَّ المرءَ والشَّيبَ مَلْحَدُ[3]

---

(1) ينظر: مارون، يوسف: **ابن الرومي شاعر الوجدان الإنساني (دراسة نقدية في مراثيه)**، ص182.

(1) الوَزِيرُ الكَبِيرُ، أَبُو العَلاَءِ الكاتِبُ: أَسلَمَ، وَكَتَبَ لِلمُوَفَّقِ، ثُمَّ وَزَرَ لِلمُعتَمِدِ، وَهُوَ مِن نَصارَى كَسكَر، وَلَهُ صَدَقَاتٌ وَبِرٌّ، وَقِيَامُ لَيلٍ، لَكِنَّهُ نَزرُ الأَدَبِ، وَزَرَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ، وَلُقِّبَ ذَا الوِزَارَتَينِ. ينظر: الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ج327/13.

(3) ابن الرومي: **الديوان**، 584/2-586

ويؤكِّدُ الشّاعرُ فكرةَ أنَّ فقدانَ الشَّبابِ أعظمُ الرَّزايا، وثالثةُ الأثافي، ويستحضرُ أسلوبَ النداءِ، فيصنعُ حوارًا داخليًا مع نفسهِ، ويسخرُ منها حينما لجأَ إلى الخضابِ، محاولًا التحايلَ على المشيبِ[1]، لكنّهُ يدركُ في نهايةِ المطافِ أنَّ الخضابَ خدّاعٌ للنفسِ، لا فائدةَ منهُ سوى الحدادِ على الشبابِ والعويلِ عليهِ، فيقولُ في مدحِ عليِّ بنِ يحيى المنجِّمِ[2]:

يـا حليـفَ الخضـابِ لا تخـدعِ النَّفـ ـسَ فمـا أنـتَ للصِّـبا بنسـيبِ
ليسَ يجدي الخضابُ شيئًا مِنَ النَّفـ ـسِ سِـوى أنَّـه حِـدادُ كئيـبِ
فاتَّخـذهُ علـى الشَّـبابِ حـدادًا وابـكِ فيـه بعَبـرةٍ ونَحيـبِ[3]

ويوضَحُ الشّاعرُ رؤيتهُ في الحياةِ المتمثلةِ في الشَّبابِ، ويأتي على أسلوبِ القسمِ تأكيدًا منهُ على أنَّ الشبابَ هوَ الحياةُ، وفقدُهُ يعادلُ الموتَ والعذابَ، يقولُ:

لعمـرُكَ مـا الحيـاةُ لكـلِّ حـيٍّ إذا فَقَـدَ الشَّـبابَ سِـوى عـذابِ[4]

ويعودُ إلى أسلوبِ النِّداءِ ثانيةً، ويستخدمهُ في بيتٍ واحدٍ ثلاثَ مراتٍ، وهذا ليسَ عبثًا وإنَّما أرادَ أن يُظهرَ حسرتهُ وجزعهُ على فقدانهِ الذي شكَّلَ في داخلهِ سمةَ حزنٍ مستمرةٍ إلى يومِ الحسابِ، ولم يكتفِ بالنداءِ إلّا وأردفَ بيتًا آخرَ بأسلوبِ استفهامٍ دالٍ على تقريرٍ واضحٍ للمعاناةِ التي يعانيها من فقدانِ الشبابِ وإغفالِ المعزّينَ عنِ المصابِ الجللِ الذي داهمهُ في حياتهِ، يقولُ في عُبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ:

فيـا أسـفَا، ويـا جزعـا عليـهِ ويـا حَزَنـا إلـى يـومِ الحسـابِ!
أأُفجـعُ بالشَّـبابِ ولا أُعـزَّى؟ لقـد غَفَـلَ المُعـزِّي عَـن مُصـابِي[5]

---

[1] ينظر: الخويسكي، أماني زين كامل: **قضية الزمن في شعر ابن الرومي**، ص107.

[2] كان أبوه يحيى أول من خدم من آل المنجم الخلفاء وإليه ينسبون، وهو المنجم، وأول من خدم المأمون، وقد ذكر في بابه، ونادم ابنه علي هذا المتوكل وكان من خواصه وندمائه والمتقدمين عنده، وخصّ به وبمن بعده من الخلفاء الى أيام المعتمد على الله، وكان شاعرا راوية علامة إخباريا، مات سنة خمس وسبعين ومائتين. ينظر: الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ج2008/5.

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 139/1.

[4] نفسه، 256/1

[5] نفسه، 258/1.

وتشاؤمُ ابنُ الرّومي جعلهُ يزعمُ أنَّ الإنسانَ من بدايةِ حياتهِ إلى نهايتها متعرِّضٌ للمصائبِ، تتلقفهُ مصيبةٌ وتتركهُ إلى أخرى، ويرى أنَّ مصابَ الإنسانِ في شبابهِ يعادلُ المصائبَ كلَّها، يقولُ في مدحِ أحمدَ بنِ ثوابة:

أرى المرءَ . مُذ يلقى الترابَ بوجهِهِ إلى أن يُوارَى فيهِ . رهنَ النَّوائبِ
ولو لم يُصَب إلّا بشرخِ شبابِهِ لكانَ قد استوفى جميعَ المصائبِ[1]

والشَّبابُ في نظرهِ ثوبٌ مستعارٌ سيُعرّى مِنهُ الإنسانُ، وتصبحُ أيّامَهُ ندبًا وعويلًا، يقولُ:

أمسى الشَّبابُ رداءً عنكَ مستلبًا ولن يدومَ على العصرَينِ ما اعتقبا
أعزِز عليَّ بأن أضحت مناسبُه بُدِّلنَ فيهِ وفي أيّامِهِ نُدَبا[2]

وعلى الرَّغمِ مِن تعلُّقِ ابنِ الروميِّ في الشَّبابِ، وتمنّيهِ بقاءهُ إلّا أنَّهُ يستسلمُ لفقدانهِ، فقد تمنّى ديمومةَ الشَّبابِ، لكنَّ هذا التمنّي مستحيلٌ أمامَ الموتِ المندفعِ نحوَه، سالبًا بشاشةَ الأوطارِ، يقولُ:

لو يدومُ الشَّبابُ مُدَّةَ عمري لم تَدُم لي بشاشةُ الأوطارِ
كلُّ شيءٍ لهُ تَناهٍ وحدٌّ كلُّ شيءٍ يجري إلى مِقدارِ[3]

واعتمادًا على ما سبقَ، يرى الباحثُ في خوفِ ابنِ الروميِّ مِنَ الموتِ ما أطلقهُ فروم في حديثهِ عنِ الخوفِ، وهوَ الخوفُ اللامعقولُ مِنَ الموتِ، النّاتجُ عَن الآلامِ والوساوسِ التي تلاحقُ الإنسانَ، وعن إحساسهِ بفشلهِ في الحياةِ، والعجزِ عَن تحقيقِ طموحاتِهِ وإمكانيّاتِهِ[4]، وهذا الخوفُ لاحقَ الشّاعرَ في شتّى معطياتِ حياتِهِ مِن طبيعةٍ وبشرٍ وشبابٍ منصرمٍ، وظلَّت فكرةُ خوفهِ مِنَ الموتِ تلاحقُهُ حتّى آخر لحظاتِ حياتِهِ، واجتازَ فكرةَ الموتِ المغولةِ -كما يصفُها- إلى البُعدِ الغيبيِّ وهوَ لقاءُ اللهِ، عزَّ وجلَّ، يقولُ:

ألا إنَّ لقاءَ اللهِ هولٌ دونَهُ الهولُ[5]

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 217/1

(2) نفسه، 336/1.

(3) نفسه، 1105/3.

(4) ينظر: إبراهيم، زكريا: **مشكلة الحياة**، ص168.

(5) ينظر: المعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران ومعها نص محقق لرسالة ابن القارح**، ص41.
والعقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، ص61.

رابِعًا: الخُطوبُ:

تعرَّضَ ابنُ الروميِّ في حياتِهِ لفجائعَ مريرةٍ، وخطوبَ جسيمةٍ، قالَ فيها قصائدَ شجيَّةً، ومِن هذهِ الخطوبِ موتُ ابنهِ الأوسطِ (محمدٌ) وابنهِ الأصغرِ (هبةُ اللهِ)، وموتُ أمِّهِ، وزوجهِ، وأخيهِ، وخالهِ، وخالتهِ، وهذهِ الحوادثُ التي تبعثُ على الاضطرابِ النَّفسيِّ، والحزنِ العميقِ، جعلت ابنَ الروميِّ يغيِّرُ مسارَ تفكيرِهِ بالموتِ، ولكنَّ هذهِ النظرةَ لا تعمَّمُ على طولِ مسيرةِ حياتهِ، بل نرى أنَّها لحظاتٌ مؤقتةٌ فيها، وانفعالياتٌ عاطفيَّةٌ تنحصرُ في هذهِ القصائدِ دونَ غيرِها، ولا تنسحبُ على باقي قصائدِهِ، وتشتركُ هذهِ القصائدُ في النَّفسِ الحزينِ، والصُّورِ الدراميَّةِ، وصورِ الموتِ وألفاظهِ المنبعثةِ مِن مقطوعاتِها والمنتشرةِ فيها.

أمّا قصيدةُ رثاءِ ابنهِ الأوسطِ محمدٍ، فهيَ" مِن أعلى مراثيهِ، ومِن فرائدِ الشِّعرِ العربيِّ التي تصوِّرُ فجيعةَ والدٍ بولدهِ"[1]، يطلعُنا فيها على نظرتهِ للموتِ، ونجدهُ قد وصلَ إلى حالةٍ متقدِّمةٍ مِنَ الألمِ والحزنِ والإعياءِ، فيثورُ عليهِ غاضبًا منهُ، يقولُ:

ألا قاتـــلَ اللَّـــهُ المنايـــا ورميهـــا مِـــن القـــومِ حَبَّـــاتِ القلـــوبِ علـــى عَمـــدِ[2]

وفي خضمِّ الصُّورِ الدراميَّةِ التي قدَّمها الشّاعرُ لابنهِ، نجدُ أنَّ رؤيتَهُ للموتِ قد تغيرت، فقد كانَ قبلًا كارهًا لهُ، محاولًا النَّجاةَ منهُ على المستوى الواقعيِّ والفلسفيِّ، ولكنَّ الفاجعةَ التي ألمَّت بهِ، جعلتهُ يطلبُ الموتَ ليلحقَ ابنهُ، وجعلتهُ يتمنى لو ماتَ مِن قبلِهِ، يقولُ:

بـــودِّي أنِّـــي كنـــتُ قُـــدِّمتُ قبلَـــهُ وأنَّ المنايـــا دُونـــهُ صَـــمَدَت صَـــمدِي
أقـــرَّةَ عينـــي لـــو فَـــدى الحَـــيُّ ميِّتًـــا فـــديتُكَ بالحويـــاءِ أوَّلَ مَـــن يفـــدِي[3]
أودُّ إذا مـــا المـــوتُ أوفـــدَ مَعشَـــرًا إلـــى عَســـكرِ الأمـــواتِ أنِّـــي مِـــنَ الوفـــدِ[4]

والشّاعرُ يتوقُ إلى الموتِ في هذهِ اللحظاتِ، ولكنَّهُ لا يحصلُ عليهِ، فنراهُ يلجأُ إلى إسقاطِهِ على متعِ الحياةِ وانصرافهِ عنها، يقولُ:

---

[1] مارون، يوسف: **ابن الرومي شاعر الوجدان الإنساني (دراسة نقدية في مراثيه)**، ص115.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 624/2.

[3] الحوباء: النفس، ينظر: **لسان العرب**، مادة حوب.

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 625/2.

ثَكلـــــتُ سُـــــرُوري كُلُّـــــهُ إذ ثَكلتُـــــهُ وأصـبحتُ فـي لـذَّاتِ عيشـي أَخـا زُهـدِ[1]

ويعجزُ عَن مقاومةِ الموتِ ويضعفُ أمامَ المصائبِ، وينقادُ لحوادثِ الدَّهرِ[2]، ويرفضُ الجنَّةَ حتَّى لو كانت مصيرَ ابنهِ، يقولُ:

ومـــا ســـرَّنِي أن بعثُـــهُ بثوابِـــهِ ولـــو أنَّـــهُ التَّخليـدُ فـــي جنَّـــةِ الخُلـدِ
ولا بعثُـــهُ طَوعَـــا ولكـــن غُصِـــبتهُ ولـيسَ علـى ظُلـمِ الحـوداثِ مِـن معـدِي[3]

ويأتي على أثرِ موتِ ابنهِ على نفسيَّتِهِ، فالموتُ زرعَ الحزنَ والأسى بداخلهِ، وأصبحت حياتُهُ موحشةً، يقولُ فيها:

لَعمـــري لقـــد حالـــت بـــيَ الحـــالُ بعـــدهُ فيـا ليـتَ شِـعري كيـفَ حالـت بـهِ بعـدِي
ثَكلـــــتُ سُـــــرُوري كُلُّـــــه إذ ثَكلتُـــــهُ وأصـبحتُ فـي لـذَّاتِ عيشـي أَخـا زُهـدِ
أقـــرَّةَ عينـــي قـــد أطلـــتَ بُكاءَهـــا وغادرتهـــا أقـــذَى مِـــنَ الأعـــيُنِ الرُّمـــدِ
محمَّـــدُ مـــا شـــيءٌ تُـــوهِّم ســـلوةً لقلبـــي إلاَّ زادَ قلبِـــي مِـــنَ الوجـــدِ
أرى أخويـــــكَ البـــــاقِيينِ فإنَّمـــــا يكونـــانِ للأحـــزانِ أورى مِـــنَ الزَّنـــدِ
إذا لعِبـــا فـــي ملعـــبٍ لـــكَ لـــذَّعا فـؤادي بمثـلِ النّـارِ عَـن غيـرِ مـا قَصـدِ
فمـــا فيهمـــا لـــي سَـــلوةٌ بـــل حَـــزازةٌ يَهيجانِهـــا دُونـــي وأَشـــقَى بهـــا وحـــدِي
وأنـــتَ وإن أُفـــردتَ فـــي دارِ وحشـــةٍ فـــإنِّي بـــدارِ الأنـــسِ فـــي وحشـــةِ الفـــردِ[4]

وأمّا قصيدتُهُ التي رثى فيها ابنَهَ (هبةُ اللهِ)، فنجدُها على نسقِ القصيدةِ السّابقةِ في بثِّ روحِ الحزنِ، ورائحةِ الموتِ، والصُّورِ الدراميَّةِ، ونلحظُ موقفَهُ مِنَ الموتِ، ونجدُهُ يتمنّاهُ، يقولُ:

والآنَ حـــينَ ظعنـــتَ عَـــن وطنِـــي ســـمج المقـــامِ وطـــابَ لـــيَ الظَّعـــنُ
مـــا أصـــبحت دنيـــايَ لـــي وطنًـــا بـــل حيـــثُ دارُكَ عنـــديَ الـــوطنُ
مـــا فـــي النَّهـــارِ وقـــد فقـــدتُكَ مِـــن أنـــسِ ولا فـــي الليـــلِ لـــي سَـــكنُ[5]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 626/2.

[2] ينظر: حطيط، كاظم: **دراسات في الأدب العربي: البيئة العباسية**، ص98.

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 625/2.

[4] نفسه، 626/2-627.

[5] ابن الرومي: **الديوان**، 2515/6.

وقد أثَّرَ موتُ ابنهِ على نفسيَّتِهِ، ونقشَ حُزنًا وحسرةً في قلبِهِ، وقدَّمَ لهُ دموعَهُ كلَّها، وأعطاها قيمةً عظيمةً؛ لاتِّصالِها بموتهِ، وبالمقابلِ لم يعطِ قيمةً للبكاءِ على الأطلالِ والدِّمنِ، ونستشفُّ مِن ذلكَ صِدقَ العاطفةِ التي جاءت عفوَ الخاطرِ بفعلِ البكاءِ على موتِ ابنِهِ، يقولُ:

أبُنـــيَّ إن أحـــزن عليـــكَ فلـــي ... فـــي أن فقـــدتُكَ ســـاعةً حـــزنُ
تـــاللهِ لا تنفـــكُّ لـــي شـــجنًا ... يمضـــي الزَّمـــانُ وأنـــتَ لـــي شـــجنُ
أنفقـــتُ دمعـــي فـــي مَواضـــعِهِ ... لا الـــوَكسُ يلحقُنـــي ولا الغَـــبنُ[1]
أبكـــانيَ ابنـــي إذ فُجعـــتُ بـــهِ ... لـــم تُبكِنـــي الأطـــلالُ والـــدِّمنُ
وعكَفـــتُ بـــالقبرِ المحـــيطِ بـــهِ ... فاعـــذِر فـــلا صـــنمٌ ولا وثـــنُ[2]

وأمّا قصيدتُهُ في رثاءِ أمِّهِ، فتنفردُ عن باقي القصائدِ بميِّزاتٍ فكريةٍ وإبداعيةٍ، وهيَ تقعُ في مائتينِ وأربعةِ أبياتٍ[3]، شكَّلَ تآخيها معًا نفسًا طويلًا حزينًا، والمطَّلعُ على هذهِ القصيدةِ يراها مُكتظَّةً بألفاظِ الموتِ ومتعلَّقاتهِ التي انعكست على نفسيَّتِهِ، ومنها: (أفيضا، دمًا، الرَّزايا، بكاءٌ، السأمُ، خطبٌ، البلوى، الغُمم، أتبكي، فاقدٌ، جُرّعتُ، ثُكلها، فقدتُ، يتَّمتُ، المصيبةُ، أقاسي، ذَرفت، المصابُ، يضيقُ، روعاتُ الخطوبِ، المنايا، مميتٌ، الحِمامُ، ردى...)، والقصيدةُ مشبعةٌ بإسقاطاتِ الموتِ، ومكثَّفةٌ بالصُّورِ الدراميَّةِ، لذلكَ نرى الشّاعرَ يُسقطُ الموتَ على الموجوداتِ، لا الحزنَ والأسى كما يرى الحوراني[4]، ففكرةُ الموتِ تمكَّنت مِن قلبِ الشّاعرِ حتّى أسبغَها على مظاهرِ الحياةِ، فالدُّنيا أظلمت، وباخَ ضياؤُها، والشمسُ حيرى، والأرضُ أجدبت بعدَ أن كانت روضةً، والجبالُ مادت، والسَّحابُ بكى، والرِّيحُ ناحت، والجنُّ والإنسُ تأتَّما، والوحشُ والطَّيرُ تولَّهت، وفي هذهِ الصُّورِ التي انتقاها الشّاعرُ ترجمةٌ للموتِ على الموجوداتِ، يقولُ:

وأظلمـــتِ الـــدُّنيا وبـــاخَ ضـــياؤُها ... نهـارًا وشـمسُ الصَّـحوِ حَيـرى علـى القمَـم
وأجـــدبتِ الأرضُ التـــي كنـــتِ روضـــةً ... عليهـــا وأبـــدت مَكلحًـــا بعـــد مُبتَسَـــم
ومـــادت لـــكِ الأجبـــالُ حتَّـــى كأنَّمـــا ... شـــواهقَها كانَـــت بِمحيـــاكِ تُـــدَّعَم
وأصـــبحَ يبكيـــكِ السَّـــحابُ مُجـــاوِدًا ... فـــأرزم إرزامَ العجـــولِ ومـــا رذَم

---

[1] الوكس: النقص، ينظر: **لسان العرب**، مادة وَكَسَ، والغبنُ: النسيان، مادة غبن.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 2515/6.

[3] ينظر: قصيدة ابن الرومي في رثاء أمه، **الديوان**، 2299/6-2312.

[4] ينظر: الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، دروب للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص251.

وناحـــت عليـــكِ الـــرِّيحُ عبـــرى وأصـــبحت لـــدُن عَـــدِمَت ريّـــاكِ تجـــري فـــلا تُشَـــم
وقامـــت عليـــكِ الجـــنُّ والإنـــس مأتمًـــا تُبكِّـــي صـــلاةَ الليـــلِ والخمـــصِ والهَضَـــم[1]

ثمَّ يأتي في القصيدةِ ذاتِها على إسقاطِ الحياةِ على أمِّه المتوفاة، فأمُّهُ حينَ ماتت، ماتت معها الأرضُ، وحينَ صعدت إلى السماءِ صعدت معها الحياةُ، فالسَّماواتُ العُلا تباشرت بروحِها فرحًا، وأصبحت أمُّهُ كوكبًا مُنيرًا في السَّماءِ، لم يرَهُ الرّاؤونَ قبلَ موتِها، يقولُ:

وأمّـــا السَّـــمواتُ العُلـــى فتباشـــرَت برُوحِـــكِ لمّـــا ضـــمَّها ذلـــكَ المضَـــم
ومـــا كنـــتِ إلا كوكبًـــا كـــانَ بيننـــا فبـــانَ وأمســـى بـــينَ أشـــكالهِ نجـــم
رأى المســـكَنَ العُلـــويَّ أولـــى بِمِثلِـــهِ فودَّعَنـــا جـــادت معاهِـــدَهُ الـــرِّهَم
تأمَّـــل خَليلـــي فـــي الكواكـــبِ كَوكبًـــا ترفَّـــعَ كالمصـــباحِ فـــي ذِروةِ العلَـــم
ســـما عَـــن ســـفالِ الأرضِ نحـــوَ ســـمائِهِ فكشَّـــفَ عَـــن آفاقهـــا عاصـــبُ القـــتم
ولـــم يـــرهُ الـــراؤونَ مِـــن قبـــلِ موتَهـــا بحيـــثُ بـــدا لا المُعرِبـــونَ ولا العَجَـــم[2]

ونراهُ يتمنَّى الموتَ حتَّى في رثاءَ أُمِّهِ، فلا عيشَ على هذِه الحياةِ بعدَ فقدانِها، يقولُ:

عزيـــزٌ علينـــا أن تَمـــوتِي وأنَّنـــا نعـــيشُ ولكـــن حُكِّـــمَ المـــوتُ فـــاحتكم
ولـــو قَبِـــلَ المـــوتُ الفِـــداءَ بذلتُـــهُ ولكنَّمـــا يَعتـــامُ رائـــدُهُ العِـــيم[3]

وقصيدتُه التي رثى فيها خالَهُ، طافحةٌ بألفاظِ الموتِ ومتعلَّقاتِهِ[4]، ومنها (أصابتهُ، رِيَبٌ، مصيبةٌ، رزيَّةٌ، ماتَ، رُزئناهُ، البلوى، الموتُ، قبرهُ، جوى، حزنٌ، مكروهٌ، موحشٌ، فقيدٌ، مفجوعٌ، مسلوبٌ، يقاسي، دمعًا، مفرِّقٌ، يرثي، ثُكلٌ، بؤسٌ، اليُتمُ، المنايا...)، وموتهُ تركَ أثرًا كبيرًا على نفسيَّتِهِ، فباتَ حزينًا، مُصطليَ الفُؤادِ، نهارُهُ مُوحشٌ، وليلهُ فاقدٌ للنَّومِ، ونستشفُّ ذلكَ مِن قولِهِ:

نهـــاري لَـــدُن فـــارقتني لـــكَ مُـــوحشٌ وليلـــي فَقيـــدُ النَّـــومِ حتَّـــى انحِســـارِهِ
علـــيَّ خُشـــوعٌ ظـــاهرٌ واســـتكانةٌ كـــأنِّي أســـيرٌ كـــانعٌ فـــي إســـارِهِ
أيســـكُنُ مســـلوبٌ ســـكينةَ ليلِـــهِ ويـــأنسُ مفجـــوعٌ بـــأُنسِ نَهـــارِهِ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 2310/6-2311.

(2) نفسه، 2311/6.

(3) نفسه، 2309/6.

(4) ينظر: قصيدة ابن الرومي في رثاء خاله: **الديوان**، 1131/3-1134.

يُقاســـي زفيـــرًا دائبًـــا فـــي صُـــعودهِ يُـــراحُ ودمعًـــا دائبًـــا فـــي انحـــدارِهِ[1]

وحتّى في رثاءِ خالِهِ يُطلعُنا على انطباعِهِ عَنِ الموتِ، ورؤيتِهِ فِيهِ، ونراهُ يتمنّى لو قبلتِ الليالي منهُ فداءَ خالِهِ، يقولُ:

ولـــو قبِلَـــت منِّـــي الليـــالي فـــداءَهُ لفاديتُهـــا مِـــن تالـــدي بخيـــارِهِ
فـــأنَّى تفـــاديني المنايـــا بمثلـــهِ وكَـــيسُ المنايـــا كيسُـــها فـــي اختيـــارِهِ[2]

وأمّا قصيدتُهُ في رثاءِ خالتِهِ، فلم تتجاوز أربعةَ أبياتٍ، "وقد بدأَ أبياتَهُ بتسجيلِ مبدأ عام، يصرفُ عَنِ الدُّنيا، ويذكرُ كيفَ يتوالى الصَرعى فيها بينَ اليدينِ والعينينِ" [3]، ثمَّ يرينا كيفَ انعكسَ موتُ خالتِهِ على نفسيَّته وأمِّهِ، حينما أتى على صورةِ طائرِ القطاةِ مكسورَ الجناحينِ، لم يقوَ على الطَّيرانِ، يقولُ:

ألاَ ليسَـــتِ الـــدُّنيا بـــدارِ فـــلاحِ بِعَينيـــكَ صـــرعاها مســـاءَ صـــباحِ
لنـــا مِـــن كِـــلا العصـــرين ســـاقٍ كلاهُمـــا يَـــدُورُ فيســـقينا بَكـــاسِ ذُبـــاحِ
أُرانِـــي وأُمّـــي بعـــدَ فِقـــدانَ أُختِهـــا وإن كنـــتُ فـــي رَفـــهٍ بهـــا وَصَـــلاَحِ
كَفَـــرخِ قَطـــاةِ الـــدَّوِّ بـــانَ جَناحُهـــا فبـــاتَ إلـــى حِصـــنٍ بِغَيـــرِ جَنـــاحِ[4]

ومِنَ الخطوبِ التي ألمَّت بالشّاعرِ موتُ أخيه، إذ فاقَ حزنهُ على فراقِهِ، فكانَ بمثابةِ والدهِ الذي حُرِمَ منهُ منذُ طفولتهِ، فرثاهُ رثاءً صادقًا معمّقًا بالحرقةِ والأسى، فالذي يسليهِ أيامهُ المعدوداتِ، والموتَ القادرَ على إنهاءِ مسيرةِ حياتهِ السوداويةِ[5]. ومن هنا نفسيَّةُ الشّاعرِ تطلبُ الموتَ الذي يقرِّبُ المدى بينهُ وبينَ أخيهِ، يقولُ:

وتُســـلينِيَ الأيـــامُ لا أنَّ لَـــوعَتِي ولا حَزَنـــي كالشَّـــيءِ يُنسَـــى فَيَعـــزُبُ
ولكِـــن كَفـــانِي مُســـلِيًا ومُعزِّيًـــا بـــأنَّ المَـــدَى بينِـــي وبَينَـــكَ يَقـــرُبُ[6]

---

[1] ينظر: قصيدة ابن الرومي في رثاء خاله: **الديوان**، 1133/32.

[2] نفسه، 1134/3.

[3] شلق، علي: **ابن الرومي في الصورة والوجود**، ط1، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1960، ص123

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 540/2.

[5] ينظر: **ابن الرومي شاعر الوجدان الإنساني (دراسة نقدية في مراثيه)**، ص110.

[6] ابن الرومي: **الديوان**، 160/1.

وتتابعتِ الخطوبُ حتَّى وصلت زوجتَهُ، واكتملت مصائِبُهُ بموتِها، لذلكَ نراهُ يقدِّمُ رؤيةً فلسفيَّةً يبيِّنُ فيها الحالةَ النَّفسيَّةَ التي يعيشُها جرَّاءَ رحيلِها، فالبكاءُ كالدَّواءِ يعالجُ الأسى، وهوَ سبيلُ البقاءِ، وهوُ أمرٌ لا يبغيهِ[1]، وإنَّما أرادَ مِن عينيهِ أن تشحَّ حتَّى تتراكمَ الأحزانُ في داخلِهِ، ويقتربُ نحوَ الموتِ، ويصلُ إلى ما آلت إليهِ زوجتُهُ، يقولُ:

عينـــيَّ شُـــحَّا ولا تَسُـــحَّا ... جـلَّ مُصـابي عـن البكـاءِ
تركُكُمـــا الـــداءَ مُســـتكنًّا ... أصـدقُ عَـن صـحَّةِ الوفـاءِ
إنَّ الأســـى والبكـــاءَ قِـــدمًا ... أمـــرانِ كالـــدَّاء والـــدَّواءِ
ومـــا ابتغـــاءُ الـــدواءِ إلا ... بُغيـــا ســـبيلٍ إلـــى البقـــاءِ
ومُبتغِـي العـيشِ بعـدَ خِـلٍّ ... كاذِبُـــهُ خُلَّـــةَ الصـــفاءِ[2]

وجملةُ القولِ: إنَّ فكرةَ الموتِ في ذهنِ ابنِ الروميِّ في أثناءِ رثاءِ أحبابِهِ كانت مسيطرةً على نفسيَّتِهِ، فقد بنى مدلولاتِ الموتِ في قصائِدِهِ بناءً متماسكًا، ناتجًا عَنِ انفعالاتِهِ العاطفيَّةِ جرَّاءَ تلقِّيهِ المصائبَ التي انسكبت عليهِ واحدةً تلوَ الأخرى، إذ نرى رؤيتَهُ في ذاكَ الاتجاهِ مقتربةً مِنَ الموتِ، لكنَّ هذهِ الرؤيةَ سُرعانَ ما تختفي مِن مخيِّلتِهِ، ويعودُ إلى أدراجِهِ الأولى المتمثِّلةِ في خوفِهِ الشَّديدِ مِنَ الموتِ، ونفورِهِ منهُ وتعلُّقِهِ بالحياةِ تعلُّقًا شديدًا، واتضَّحَ ذلكَ من الحديثِ عن صورةِ الموتِ وانعكاسِهِ على الطَّبيعةِ والبشرِ والشَّبابِ، وسيتَّضحُ أيضًا في الفصلِ الثّاني، وذلكَ في الحديثِ عن ملامحِ الموتِ المتمثِّلةِ في الشَّيبِ والمرضِ والزَّمَنِ.

---

[1] ينظر: الصفدي، ركان: **ابن الرومي الشّاعر المجدد**، ص95.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 1/79-80.

الفَصلُ الثّاني

مَلامِحُ المَوتِ في شِعرِ ابنِ الرّوميِّ

المَبحَثُ الأَوَّلُ: الشَّيبُ.

المَبحَثُ الثّاني: المَرَضُ.

المَبحَثُ الثالِثُ: الزَّمَنُ.

أ- مُتَعَلِّقاتُ الزَّمَنِ:

1- الزَّمَنُ الظّالِمُ.

2- الزَّمَنُ مُفرِّقُ الأَحِبَّةِ.

3- الزَّمَنُ المُفتَرِسُ.

4- الزَّمَنُ الخائِنُ والماكِرُ.

5- الزَّمَنُ العابِثُ.

ب- التَّخَلُّصُ مِنَ الزَّمَنِ.

المَبحَثُ الأَوَّلُ

الشَّيبُ

كثرتِ الأحاديثُ عنِ الشَّيبِ، ورأى بعضُهم فيهِ صرخةَ الموتِ القادمةِ على البشريَّةِ كافةً، إذ "رأى إياسُ بنُ قتادة شعرَةً بيضاءَ في لحيتِهِ، فقالَ: أرى الموتَ يطلبني وأراني لا أفوتهُ، أعوذُ بكَ يا ربِّ مِن فُجاءاتِ الأمورِ، يا بني سعدٍ قد وهبتُ لكم شبابي فهِبُوا لي شيبَتي، ولزِمَ بيتَهُ"[1]، وقد قالَ العتابي: "الشَّيبُ نذيرُ المنيَّةِ"[2]، وقالَ السَهميُّ: "الشَّيبُ نذيرُ الحِمامِ"[3]، وقالَ الحكيمُ: "شيبُ الشَّعرِ موتُ الشَّعرِ، وموتُ الشَّعرِ عِلَّةُ موتِ البشرِ"[4]، وكثرتِ الأقاويلُ حولَ مدحِ الشَّيبِ، فيقالُ: "الشَّيبُ حِليةُ العقلِ وسِمَةُ الوقارِ"[5]، ومنهم مَن قالَ: "الشَّيبُ زبدةٌ مخضتها الأيّامُ، وفضَّةٌ سبكتها التجاربُ"[6].

والتفتَ كثيرٌ مِنَ الشُّعراءِ إلى هذهِ القضيَّةِ مُحاولينَ مُعالجتها، فنجدُ شعراءَ مزجوا حكمتهم بالتَّشاؤمِ في نظرتهم إلى الشَّيبِ، وبالمقابلِ نجدُ شعراءَ آخرينَ نظروا إليهِ على أنَّهُ سِمةُ الوقارِ التي تَسِمُ الإنسانَ، وعدُّوهُ واعظًا ورادعًا عَنِ المعاصي التي نهى عنها اللهُ عزَّ وجلَّ، وفيهِ جرسُ إنذارٍ يدعو الإنسانَ إلى التَّوبةِ قبلَ أن يسلِبَ الموتُ الأرواحَ فتصعدُ إلى بارئِها، وربَّما في هذهِ النَّظرةِ نوعٌ مِنَ الحكمةِ الممزوجةِ بالتَّفاؤلِ.

---

(1) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **عيون الأخبار**، ط2، تحقيق لجنة من دار الكتب المصرية، دار الكتب المصرية، القاهرة، مج2، 1996، 324/6.

(2) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1983، ص386.

(3) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، 333/2.

(4) نفسه، 333/2.

(5) الثعالبي، أبو منصور: **الظرائف واللطائف اليواقيت في بعض المواقيت**، تحقيق ناصر محمدي محمد جاد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009، ص360.

(6) نفسه، ص360.

وقد توقَّفَ الشُّعراءُ الجاهليونَ في شعرِهِم على الشَّيبِ، وعدُّوهُ ملمحًا مِن مَلامِحِ الموتِ، ورأى مالكُ بنُ حريمٍ الهمذاني[1] فيهِ الجزعَ مِنَ الموتِ، ووضَعَنا أمامَ ثنائيةِ الحياةِ والموتِ، فالحياةُ تتمثَّلُ في سوادِ الشَّعرِ الذي هوَ علامةُ الشَّبابِ، والموتُ يتمثَّلُ في بياضِ الشَّعرِ الذي هوَ علامةُ الشَّيبِ، وكأنَّ الشّاعرَ يرسمُ صراعًا قائمًا بينَ البياضِ(الموت) والسَّوادِ(الحياة)، يقولُ:

جَزَعتَ وَلَم تَجزَع مِنَ الشَّيبِ مَجزَعا وَقَد فاتَ رِبقِيُّ الشَّبابِ فَوَدَّعا
وَلاحَ بَياضٌ في سَوادٍ كَأَنَّهُ صِوارٌ بِجَوٍّ كانَ جَدبًا فَأَمرَعا[2]

وفي العصرِ الإسلاميِّ نجدُ التَّوازي بينَ النظرتينِ، ذلكَ أنَّ الشُّعراءَ تمثَّلوا القرآنَ الكريمَ، وسنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ونجدُ في القرآنِ الكريمِ أنَّ الشَّيبَ دليلُ ضعفٍ جسديٍّ يتَّجِهُ نحوَ الموتِ نتيجةَ التقدُّمِ في السِّنِّ، وذلكَ في قولِهِ تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظمُ مِنِّي وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا وَلَم أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً**﴾[3]. واستمدَ لبيدُ بنُ أبي ربيعة مِن هذهِ الآيةِ، فغدت ملتحمةً ومنسجمةً معَ بيتهِ الشِّعريِّ الذي يقولُ فيهِ:

إن تري رأسيَ أمسَى واضِحًا سُلِّطَ الشَّيبُ عليهِ فاشتَعَل[4]

ونجدُ في سُنَّةِ الرَّسولِ مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ النظرةَ إلى الشَّيبِ نظرةَ إجلالٍ وتقرُّبٍ إلى اللهِ بدافعِ الحكمةِ والموعظةِ والوقارِ، وأنَّ الشَّيبَ نورٌ وهدايةٌ للإنسانِ، وأنَّهُ طريقٌ إلى الصَّلاحِ وتصحيحٌ للفسادِ، عن أبي هُريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: "**لا تَنتِفُوا الشَّيبَ، فإنَّهُ نُورٌ يَومَ القيامَةِ، وَمَن شابَ شَيبةً في الإسلامِ كُتِبَ لَهُ بها حَسَنةٌ، وَحُطَّ عَنهُ بها خَطِيئةٌ، وَرُفِعَ لَهُ بها دَرَجَة** "[5].

---

[1] مالك بن حريم بن مالك، من بني دالان، الهمدانيّ: شاعر همدان في عصره، وفارسها وصاحب مغازيها. جاهلي يماني. كان يقال له " مفزع الخيل " ويعدّ من فحول الشعراء. وهو صاحب البيت المشهور: "متى تجمع القلب الذكي وصارما. ..وأنفا حميا تجتنبك المظالم" . ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج260/5.

[2] الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: **الأصمعيات**، ط5، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص62-63.

[3] سورة مريم: 4.

[4] العامري، لبيد بن ربيعة: **الديوان**، ص91.

[5] الفارسي، الأمير علاء الدين علي بن بلبان: **صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان**، ط2، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، 253/7.

ويؤكِّدُ الفكرةَ حسّانُ بنُ ثابتٍ أنَّ في الشَّيبِ آياتٍ وعبرًا على الإنسانِ تدبُّرها وتأمُّلها، يقولُ:

علا الشَّيبُ رأسي بعدما كانَ أسودًا ... وفي الشَّيبِ آياتٌ لمن يَتَفَكَّرُ
وبعدَ الشَّبابِ الشيبُ والضعفُ والفنا ... وموتٌ لهُ قَدرٌ عبوسٌ مُكَدِّرُ
فكم كم مِنَ الأملاكِ قد ذَلَّ مُلكُهُم ... وهل مِن نعيمٍ دائمٍ لا يُغَيَّرُ
سوى مُلكِ رَبِّي ذي الجلالِ فإنَّهُ ... لهُ الملكُ يقضِي ما يشاءُ وَيَقدِرُ[1]

وتتجلَّى فكرةُ الشَّيبِ عندَ الشُّعراءِ الأمويينَ، فيرى عبدُ اللهِ بن معاويةَ الجعفريِّ فيهِ العفَّةَ والوقارَ والصَّبرَ على الشَّدائدِ والمِحَنِ، فيقولُ:

أَتَتنِي تَجَنَّى عَلَيَّ الذُنُوبَ ... وَما لِيَ ذَنبٌ سِوَى الشَّيبِ صارا
وَما زادَنِي الشَّيبُ إلّا نَوًى ... وَإلّا عَفافًا وَإلّا وَقارا
وَإلّا اصطِبارًا عَلَى النّائِباتِ ... وَالمَرءُ يَمتَعُ مَن قَد أَجارا
فَلا تَعجَبِي مِن مَشُوقٍ صَحا ... وَعَمَّمَهُ الشَّيبُ مِنهُ خِمارا[2]

وفي العصرِ العبّاسيِّ لم يكنِ الشُّعراءُ بمنأى عَن هاتينِ النَّظرتينِ السّابقتينِ، وقد أكملوا ما رآهُ الشُّعراءُ السّابقونَ في النَّظرةِ إلى الشَّيبِ، وقد أسقطَ أبو تمام الموتَ على الشَّيبِ الذي تركَ أثرًا سلبيًا على نفسيَّتِهِ، وأبعدهُ عَن متعلَّقاتِ الدُّنيا وملذّاتِها، فخلعَ عليهِ صورًا سلبيةً، تارةً يصوِّرُهُ بالدّاءِ الذي لا يُرجى شفاؤُه، وتارةً أخرى يَربِطُ بينهُ وبينَ شجرِ الثِّغامِ؛ لتشاكلِ اللَّونِ الأبيضِ بينهما أوَّلًا، ولفاعليةِ الموتِ في نفسهِ ثانيةً، فكلَّما ازدادَ الشَّيبُ في رأسِهِ ضَعُفَ واقتربت نهايتُهُ، وكذلكَ شجرُ الثِّغامِ كلَّما اشتدَّ بياضُ الزَّهرِ فيهِ يبسَ ولم يقوَ على الثَّباتِ، يقولُ:

لعبَ الشَّيبُ بالمفارِقِ بل جـ ... ـدَّ فأَبكَى تُماضِرًا وَلَعُوبا
خضبت خدَّها إلى لؤلؤ العقـ ... ـدِ دمًا أن رأت شَوَاتِي خَضِيبا
كلُّ داءٍ يُرجى الدَّواءُ لهُ إلا ... الفظيعينِ: ميتةً ومَشِيبا

---

[1] الحميري، نشوان بن سعيد: **ملوك حمير وأقيال اليمن**، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1958، ص99.

[2] البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: **الحماسة**، ط2، تحقيق لويس شيخو اليسوعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص195.

يــا نَسِــيبَ الثَّغــامِ ذَنبُــكَ أبقــى حَسَناتِي عندَ الحِسانِ ذُنوبا[1]
وَلــئِن عِــبنَ مــا رَأيــنَ لَقَــد أَنــــ ـكرنَ مُستنكرًا وعِبنَ مَعِيبا [2]

وثمَّةَ شعراء عبّاسيونَ أضافوا في موضوعاتِهم الشِّعريَّةِ صورًا حسنةً للشَّيبِ، وعبَّر عَن ذلكَ الشَّريفُ المرتضى في قولِهِ: "واعلم أنَّ الشَّيبَ قد يُمدَحُ ويُذَمُّ على الجُملَةِ ثُمَّ يتنوَّعُ مدحهُ إلى فنونٍ فيمدحُ بأنَّ فيهِ الجلالةَ والوقارَ والتجاربَ والحِنكةَ وأنَّهُ يصرفُ عَنِ الفواحِشِ ويصُدُّ عَنِ القبائِحِ ويعِظُ مَن نزلَ بهِ فيقلِّلُ إلى الهوى طماحهُ وفي الغيِّ جماحهُ..."[3].

ويقولُ دِعبلُ الخُزاعيّ في مدحهِ الشَّيبَ، وقد نظرَ إليهِ نظرةً تفاؤليةً فيها العِفةُ والتَّزيُّنُ:

أهــلًا وسَــهلًا بالمَشِــيبِ، فإنَّــهُ سِــمَةُ العَفِيــفِ، وَحِليَــةُ المُتَحــرِّجِ
وَكَــأَنَّ شَــيبِي نَظــمُ دُرٍّ زاهِــرٍ فــي تــاجِ ذِي مُلــكٍ أَغَــرَّ مُتَــوَّجِ
ضَــيفٌ أَلَــمَّ بِمفرَقــي فَقَريتُــهُ رَفــضَ الغِوايــةِ واقتِصــادَ المَــنهَجِ
لا شَيءَ أَحسَنُ مِن مَشِيبٍ وَافِدٍ بــالحِلمِ مختَــرِمِ الشَّــبابِ الأَهــوَجِ[4]

وابنُ الروميِّ لا يختلفُ عَن سابقيهِ في ازدواجيَّةِ النَّظرةِ للشَّيبِ، فتارةً يعطيهِ سِمةً سلبيةً (وهيَ الأغلبُ في شعرِهِ)، وتارةً يعطيهِ سِمةً إيجابيَّةً، وسيقفُ الباحثُ على نِتاجِ ابنِ الروميِّ الشِّعريِّ في تينِكَ النَّظرتينِ، وصولًا إلى أعماقِ النَّصِّ المُنعكسِ عَن فكرِهِ، وتوضيحِ التَّوجيهاتِ التي قادتِ الشّاعرِ إلى مثلِ هاتينِ النَّظرتينِ.

شابَ ابنُ الروميِّ في حداثةِ سنِّهِ، ولم يفرح بأيّامِ شبابِهِ التي هيَ "ثوبٌ معارٌ سُرعانَ ما يُعرّى منهُ المرءُ، كما يُعرّى مِنَ الورقِ القَضيبِ، ومشيبٌ يُحيلُ السَّوادَ الذي يصحبُ الشَّبابَ بياضًا، وكِبَرٌ يأتي في أعقابِ المشيبِ"[5].

---

(1) الثغام: نبت على شكل الحَليِّ وهو أغلظُ منهُ وأجلُّ عودًا، يكونُ في الجبل ينبت أخضر ثمَّ يبيضُّ إذا يبس، ينظر: **لسان العرب**، مادة ثَغَمَ.

(2) الطائي، حبيب بن أوس بن الحارث: **الديوان**، شرح خطيب التبريزي، تحقيق راجي الأسمر، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، 93/1.

(3) الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي: **الشهاب في الشَّيب والشَّباب**، ط1، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1302هـ، ص3.

(4) الخزاعي، دعبل بن علي: **الديوان**، ط1، تحقيق حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص54.

(5) محجوب، فاطمة: **قضية الزمن في الشعر العربي، الشباب والمشيب**، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص8.
http://lisaanularab.blogspot.com/2013/02/blog-post_8602.html

فابنُ الروميِّ، ابنُ الواحدِ والعشرينَ عامًا، يطلعُنا على لوحةٍ مفعمةٍ بالإحساسِ الذي يعتريهِ، لوحةٍ مليئةٍ بالصُّورِ التي نسجَها وخطَّها بيدهِ، فيرسمُ صورةً "تحوي بُعدًا زمنيًا، وتُؤثرُ فينا زمنيًا، بمعنى أنَّ ما نراهُ في الصُّورةِ مِن عناصرِ الطَّبيعةِ مِنَ اللَّونِ والصَّوتِ والضوءِ والحركةِ والثَّباتِ، هوَ استعادةُ تلكَ الطَّبيعةِ التي رأيناها سابقًا، أو خلقٌ جديدٌ لها"[1]، ومِن هنا أعطى الشّاعرُ لوحةً تشاكليَّةً تجمعُ بينَ الشَّيبِ ومظاهرِ الحياةِ المتمثِّلةِ في اللهوِ والطَّربِ والغواني، فحينما حلَّ الشَّيبُ عليهِ ضيفًا، أصبحَ مشلولَ الحركةَ، عاجزًا عَنِ اصطيادِ الفتياتِ الغانياتِ، انقلبَ الزَّمنُ عليهِ وأضحى طُعمًا واقعًا في شباكِ الشَّيبِ، يستصرخُ العودةَ إلى الحياةِ مِن جديدٍ، يقولُ:

خصـيمُ اللَّيـالي والغـواني مُظلَّـم ... وعهـدُ اللَّيـالي والغـواني مُـذمَّمُ
فظلـمُ اللَّيـالي أنَّهـنَّ أشـبنني ... لعشـرينَ يحـدوهنَّ حـولٌ مُجـرَّمُ
وظُلـمُ الغـواني أنَّهـنَّ صَـرَمنني ... لظلـمِ اللَّيـالي إنَّنِـي لَمُظلَّـمُ
تنكَّـرنَ لـي أن نكَّـر الشَّـيبُ لمَّتـي ... وفـي الشَّيبِ للسودِ الذرى مُتحرَّمُ
فـإن أغـدُ محـزومَ السِّـهامِ فربَّمـا ... غدا بـي مُلقى غرةِ الصَّيدِ مُطعَمُ
ورُبَّ مَهـاةٍ صِـدتُها بـينَ نظرتِـي ... ونظرتُهـا أيّـامَ رأسـيَ أسـحَمُ[2]

وبعدَ أن أقرَّ الشّاعرُ بشيبهِ المبكِّرِ، يُخبرُنا أنَّ في الشَّيبِ خُطوَةً لتتابُعِ الأمراضِ، وذلكَ بناءً على تجربةٍ عاشَها في حياةٍ قاسيةٍ، جعلتهُ ذاكَ الإنسانَ الذي "يعاني مِن أمراضٍ عضويَّةٍ واعتلالٍ في جسدهِ وإصابتهِ بالشَّيخوخةِ المُبكِّرةِ والمشيبِ واضطِّرابِ أعصابهِ حتّى أصبحَ تركيبةً غريبةَ الأطوارِ"[3].

ويقدِّمُ ابنُ الروميِّ مقطوعةً زاخرةً بالصُّورِ، نبعت مِن مشاعرِهِ الصّادقةِ، ومِن خوفٍ يداهمهُ جرّاءَ شيبهِ المُبكِّرِ، فنراهُ يقلبُ الموازينَ، فالشَّيبُ الذي هوَ علامةٌ مِن علاماتِ الموتِ كالصُّبحِ في نظرهِ، علمًا بأنَّ الصُّبحَ كثيرًا ما تغنّى بهِ الشُّعراءُ، ذامّينَ الليلَ، وابنُ الروميِّ يمدحُ

---

(1) عبد الحافظ، صلاح: **الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشّاعر الجاهلي وشعره: دراسة نقدية نصية**، دار المعارف، القاهرة، 1983، 134/1.

(2) ابن الرومي: **الديوان**، 2091/6. وأسحم: أسود، ينظر: **لسان العرب**، مادة سحم.

(3) الخويسكي، أماني زين كامل: **قضية الزمن في شعر ابن الرومي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2014، ص63.

الليلَ مدحًا ضِمنيًا؛ لتشاكلهِ معَ لونِ سوادِ الشَّعرِ، علامةُ الفتوَّةِ والشَّبابِ، ثمَّ يجعلُ الغمامةَ مرادفًا للشَّيبِ؛ لتحملَ معنى الموتِ، علمًا أنَّها تحملُ الحياةَ في داخلها وتبشِّرُ بكلِّ جميلٍ، وهذهِ الحالةُ الارتيابيةُ التي تعتريهِ جعلتهُ يقلبُ الصُّورَ؛ لتكشفَ عَن مخزونٍ خوفيٍّ عميقٍ، يبدو عليهِ الشّاعرُ، يقولُ:

بـدا الشَّـيبُ فـي رأسـي فَجَلَّـى عَمـايتي ... كمـا كشـفت ريـحٌ غمامًـا تَطَخطَخـا
ولا بـدَّ للصُّـبحِ الجلِـيِّ إذا بـدت ... تباشـيرُهُ أن يسـلخَ الليـلَ مسـلخا
وأضـحت قنـاةُ الظَّهـرِ قُـوِّسَ متنُهـا ... وقـد كـانَ معـدولًا وإن عِشـتُ فخَّخـا
وأحـدث نقصـانُ القُـوَى بـينَ نـاظري ... وسمعي وبينَ الشَّخصِ والصَّوتِ بَرزخا[1]

وابنُ الروميِّ حينما يتحدَّثُ عَنِ الشَّيبِ الذي ألمَّ بهِ يلجأُ إلى استخدامِ الألفاظِ الفارسيَّةِ والدلالاتِ والإيحاءاتِ المعبَّرةِ، وكما قالَ عنهُ العقّادُ: "لم يجعلِ اللفظَ شغلًا شاغلًا في صناعتهِ، ولم يحفل بهِ إلّا لأداءِ المعنى الذي يريدهُ"[2].

ويطلعُنا على لوحةٍ فيها ألفاظٌ فارسيةٌ، يوظِّفها توظيفًا دلاليًا؛ لتتوافقَ معَ فكرةِ الشَّيبِ التي يُسقطُها على الموتِ، ويقفُ فيها على قضيَّةِ قلبِ الصُّورِ التي تُنبئُنا باضطرابٍ غيرِ عاديّ في الشّاعرِ، فالغرابُ الذي يرمزُ إلى الموتِ[3] عندَ معظمِ الأممِ بما فيها الأمَّةُ العربيَّةُ قديمًا وحديثًا يتحوَّلُ عندَهُ إلى وجهٍ مِن أوجهِ الحياةِ؛ لتشاكلِ لونهِ معَ لونِ شعرِ الشَّبابِ الأسودِ، وفي تخيُّلِ الشّاعرِ بانتشارِ البياضِ معَ السَّوادِ في رأسهِ بشرًا بيضًا وزنوجًا، دلالةٌ أخرى على عُمقِ التَّفكيرِ المُرهقِ، هذا التَّفكيرُ الذي جعلهُ يُقارِبُ بينَ انتشارِ البياضِ معَ السَّوادِ في شِعرِهِ ولعبةِ شطرنجٍ تحتاجُ إلى مستوى عالٍ مِنَ الذَّكاءِ، وكأنَّهُ يرى نفسَهُ في لُعبتهِ الأخيرةِ معَ الموتِ التي سيخسرُ فيها لا محالةَ، يقولُ:

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 2/573-574.

[2] العقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، ص257.

[3] ينظر: أبو سنينة، علي عبد العزيز علي: **الغراب في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2012، ص38.

شَعراتٌ في الرأسِ بيضٌ ودعجُ ... حلَّ رأسي جِيلان روم وزنجُ[1]

طارَ عَن هامتي غرابُ شبابٍ ... وعَلاهُ مكانهُ شاهُمُرجُ[2]

حلَّ في صحنِ هامتي منهُ لونا ... نِ كما حلَّ رقعةً شَطرنجُ[3]

أيُّها الشَّيبُ لِم حللتَ برأسي ... إنَّما لي عشرٌ وعشرٌ وبَنجُ[4]

وابنُ الروميِّ حينما يذكرُ الشَّيبَ يستحضرُ صورةَ القتالِ على أرضِ المعركةِ، فعندما كانَ شابًا كانَ يقاتلُ وينتصرُ، ومعَ حلولِ الشَّيبِ أصبحَ مهزومًا، ضعيفًا، يلُفُّهُ الموتُ مِن كُلِّ جانبٍ، فإذا كانتِ القشَّةُ قصمت ظهرَ البعيرِ، فإنَّ الشَّيبةَ قصمت ظهرَ الشّاعرِ، يقولُ:

كفى بسراجِ الشَّيبِ في الرأسِ هادِيًا ... إلى مَن أضلَّتهُ المنايا ليالِيا

أمِن بعدِ إبداءِ المشيبِ مقاتلِي ... لرامي المنايا تحسبينِي ناجِيا

غدا الدَّهرُ يرمينِي فتدنو سِهامُهُ ... لشخصي وأَخلُقُ أن يصيبَ سَوادِيا

وكانَ كرامِي الليلِ يَرمي ولا يُرى ... فلمّا أضاءَ الشَّيبُ شَخصِي رآنِيا[5]

ويرسَّخُ فكرتهُ أنَّ الشَّبابَ معُادلُ الحياةِ والشَّيبَ مُعادلُ الموتِ، وذلكَ في استخدامِ الألفاظِ والأساليبِ الدَّالة على ذلكَ، فيلجأُ إلى استخدامِ أسلوبِ الأمرِ (اقضِ)؛ ليأمرَ أهلَ زمانهِ بقضاءِ مرحلةِ الشَّبابِ، والتَّمتُّعِ بها وعدمِ التَّغافلِ عنها؛ ويأتي على لفظتي (قصرُكَ، التَّقاضي) ويخلعهما على الشَّيبِ؛ لأنَّ لياليهِ قصيرةٌ، تُنذرُ بالرَّحيلِ في أيِّ وقتٍ كانَ، ثُمَّ يلجأُ إلى استخدامِ اللَّونِ الأبيضِ تارةً معَ الشَّبابِ الذي رأى فيهِ روحَ الحياةِ، وتارةً أخرى معَ الشَّيبِ الذي رأى فيهِ وداعهُ الأخيرِ، يقولُ:

---

(1) دعج: السّواد، وقيل شدة السواد، ينظر: **لسان العرب**، مادة دعج.

(2) شاهُمُرج: كلمة فارسية تعني الطائر الملك أو طائر الملك وهو طائر أبيض الجسم، ينظر: مقال الألفاظ الفارسية في شعر ابن الرومي، محمد محمد يونس، ص74.

(3) الشِّطرَنج: لعبة تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعا، وتمثل دولتين متحاربتين باثنتين وثلاثين قطعة تمثل الملكين والوزيرين والخيالة والقلاع والفيلة والجنود، ينظر: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص482.

(4) ابن الرومي: **الديوان**، 505/2. بنج: خمسة بالفارسية. ينظر: أبو منصور، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي: **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق عبد الرحيم، ط1، دار القلم، دمشق، 1990، ص191.

(5) ابن الرومي: **الديوان**، 2645/6.

قصرُكَ الشَّيب فاقضِ ما أنتَ قاضِ مِن هوى البيضِ قبلَ حينِ البياضِ
إنَّ شَـرخَ الشَّـبابِ قـرضُ الليـالي فتصـرَّف فيـهِ قُبيـلَ التقاضِـي[1]

ويُطلعُنا على عجزِهِ في التَّخلُّصِ مِنَ الشَّيبِ، وذلكَ في استخدامهِ المنقاشَ الذي اتَّخذَهُ غايةَ التَّخلُّصِ مِنَ الشُّعيراتِ البيضِ، لكنَّهُ حوَّلَ صغائِرَ الأمورِ إلى عظائِمِها، ورأى نفسَهُ يقتصُّ الشُّعيراتِ السَّوداءَ دونَ البيضاءِ، وأدركَ عجزَهُ وضعفَهُ أمامَ جبروتِ الشَّيبِ، ونلمحُ مِن ذلِكَ صِراعَهُ مَعَ الحياةِ والموتِ الذي جسَّدهُ في مشهدِ التّخلُصِ مِنَ الشّيبِ، يقولُ:

ومِـن نَكـدِ الـدُّنيا إذا مـا تنكَّـرت أمـورٌ وإن عُـدَّت صِـغارًا عظـائِمُ
إذا رُمـتُ بالمِنقـاشِ نتـفَ أشـاهِبي أُتـيحَ لـهُ مِـن دُونهـنَّ الأداهِـمُ
فـأَنتفُ مـا أهـوى بغيـرِ إرادتـي وأَتـركُ مـا أَقلـى وأنفـي راغِـمُ
يُـراوغ منقاشـي نُجـومُ مَسـائِحي وهُـنَّ لعينـي طالعـاتٌ نَـواجِمُ[2]

والشَّيبُ في رأسهِ يبدأُ شعرةً واحدةً، ثُمَّ يتكاثرُ فيزدادُ شيئًا فشيئًا، وكذلكَ مصائبُ الشّاعرِ تبدأُ صغيرةً ثُمَّ ما تلبثُ أن تكبرَ وتتعاظمَ، فتكونُ سببًا في هلاكِهِ، وقد أجادَ في استخدامِ التَّشبيهِ التمثيليِّ، حينَ صوَّرَ ازديادَ الشَّيبِ النّاتجِ مِن شَيبةٍ واحدةٍ، كازديادِ النّارِ النّاتجِ مِن شرارةٍ واحدةٍ؛ ليبيِّنَ حجمَ الألمِ الذي تمثَّلَ في شيبهِ، وجعلهُ يخشى على نفسهِ، كونهُ مُقرِّبًا مِن الموتِ، يقولُ:

أَوَّلُ بِـدءِ المَشِـيبِ واحِـدَةٌ تُشـعِلُ مـا جـاورت مِـنَ الشَّـعَرِ
بينـا نُـرى وحـدَها إذ اشـتعلت أرتـكَ نـارَ المشـيبِ فـي أُخَـرِ
مثـل الحريـقِ العظـيمِ تَبـدؤُهُ أَوَّلَ صَـولٍ صَـغيرةُ الشَّـرَرِ
تُعـدِي إذا مـا بـدت صَـواحِبَها كأنَّهـا عُـرَّةٌ مِـنَ العُـرَرِ
كـذا صـغارُ الأمـورِ مـا برحـت تكـونُ منهـا مبـادئُ الكُبَـرِ[3]

وتتَّسمُ أشعارُ ابنِ الرومي بكثرةِ الألفاظِ المتَّصلةِ بالنُّجومِ والكواكبِ[4]، ونراهُ يربطُ بينَ النُّجومِ والشَّيبِ بحكمِ تشابهِ الألوانِ بينهما في غَسَقِ الدُّجى، فالنُّجومُ تزيدُ بسرعةٍ وتكرارٍ كالشَّيبِ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 1417/4.
(2) نفسه، 2122/5.
(3) نفسه، 1034/3.
(4) ينظر: ضيف، شوقي: **العصر العباسي الثاني**، ص 298.

الذي يزيدُ مُسرعًا في سوادِ شعرِ الشّاعرِ، وهذهِ الصورةُ في تداخلِ ألوانِها تُخبرُ عَن تفكيرٍ عميقٍ، ونفسيَّةٍ خائِفةٍ مضطَّربةٍ مِنَ الموتِ المُقتربِ، يقولُ:

طـولا الـدَّهرُ رُبَّ لَيـلٍ كَأَنَّـهُ ... قَـد تَنـاهى فَلَـيسَ فيـهِ مَزيـدُ
ذِي نُجُومٍ كَأَنَّهُنَّ نُجومُ الشـ ... ـشَيبِ لَيسَت تَزولُ لَكِن تَزِيدُ[1]

ويربطُ الشّاعرُ النجومَ بالشَّيبِ، ويستشفُ معنى انكدارِ النُّجومِ مِن قولِهِ تعالى: ﴿**وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَت**﴾[2]. ومعنى انفطارِ السَّماءِ مِن قولِهِ تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَت**﴾[3]. وجاءَ بهاتينِ الآيتينِ؛ ليربطَ بينَ حدثِ الشَّيبِ وأحداثِ يومِ القيامةِ، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى شدَّةِ وَقعِ أثرِ الشَّيبِ عليهِ، يقولُ:

نُـــراعُ إذا لاحـــت نُجـــومُ مَشـــيبنا ... كـــأنَّ نُجـــومَ الَّليـــلِ مُنكـــدراتُ
وتنفطـــرُ الأكبـــادُ عنـــدَ شـــمولِهِ ... كـأنَّ الطِبـاقَ السَّـبعَ منفطـراتُ[4]

ويأتي ابنُ الروميِّ في حديثِهِ عَنِ الشَّيبِ على الخِضابِ في شعرِهِ[5]، فيشكِّلُ لديهِ صورةً مرعبةً، تزيدُ مِنَ انفعالاتِهِ النَّفسيَّةِ، فنراهُ يفزعُ مِنَ الخِضابِ الذي لا يرى فيهِ عودةً إلى منارات الشَّبابِ، وأصواتِ الغانياتِ، وكلِّ ما هوَ صاخبٌ في الحياةِ، "فَمِن غُشِّ المُنكراتِ: خِضابُ الشَّيبِ الذي يُخالفُ فيهِ الظّاهرُ الباطنَ، ويتخلَّقُ صاحبُهُ بِخُلقِ الكاذِبِ الخائِنِ"[6]، يَقولُ:

فَزِعـتَ إلـى الخضـابِ فلـم تُجَـدِّد ... بـهِ خَلقًـا ولا أحييـتَ مَيتـا
فَدَعـهُ ولا تَعَـنَّ بـهِ فُواقًـا ... فأجـدى منـهُ قولُـك لـو وَلَيتـا
خَضـبتَ الشَّـيبَ حـين بـدا لتُـدعى ... فتـىً حَـدَثًا ضَـلالًا مـا ارتَجيتـا

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 692/2.

[2] سورة التكوير: 2.

[3] سورة الانفطار: 1.

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 388/1.

[5] ينظر: الحديث عن الخضاب: **الديوان**،351/1، 399/1، 707/2-708، 1008/3، 1424/4-1426، 4/ 1383-1384، 1388/4، 2473/6، 2483/6.

[6] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم: **المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1939، 154/2.

أَلا حاولـــــتَ أن تُـــــدعى غُلامًـــــا بحلـــقِ العارضـــينَ إذا التحيتـــا
رأيتـــكَ إذ كســـاكَ الشَّـــيبُ ثوبًـــا تـراهُ العـينُ أسـوأَ مـا اكتسـيتا[1]

ومهما حاولَ الشّاعرُ محاربةَ الشَّيبِ، إلّا أنَّهُ سيعاودُ الرجوعَ مِن جديدٍ وسينتصرُ أمامَ المعركَةِ القائِمَةِ بينهُ وبينَ تلكَ الوسائلِ التي تحاولُ القضاءَ عليهِ [2]، فنجدهُ يعقدُ مصالحةً معَ نفسهِ المضطَّربةِ، ويسلِّمُ أمرَهُ إلى الحقيقةِ المُرَّةِ التي طالما حاولَ أن يتجنَّبَها في نفسهِ ويخفيها في عقلِهِ الباطنِ، يعترفُ اعترافَ المُستسلِمِ الذي طغى عليهِ اليأسُ بحتميَّةِ الموتِ الذي يتبَعُ الشَّيبَ، فصبغةُ الحنّاءِ لا تُجدي في تجاهلِهِ والقضاءِ عليهِ، وحتّى صبغةُ اللهِ الطبيعيَّةِ لم تُفلِح في القضاءِ عليهِ، فكيفَ بالحنّاءِ الذي هوَ صُنعٌ إنسانِيٌّ؟ يقولُ:

ألا أيهـــذا الشَّـــيبُ سَـــمعًا وطاعـــةً فأنـتَ المُنـاوي –مـا علمـتُ– المظفَّـرُ
أبـــى الخِطـــرُ والحنّـــاءُ حَربَـــكَ إنَّـــهُ بـدا لهمـا –لا شـكَّ– أن سـوفَ تظهـرُ
إذا كُنـــتَ تَمحـــو صَـــبغةَ اللهِ قـــادرًا فأنـتَ علـى مـا يَصـبِغُ النّـاسُ أقـدرُ[3]

ويظهرُ ابنُ الروميِّ بمظهرِ الإنسانِ الحزينِ البائسِ الذي استسلمَ للشَّيبِ بعدَ أن نفرت منهُ الفتياتُ الحسانُ، فقد كانَ لهُ الأثرُ الكبيرُ في حزنهِ الذي يختبئُ بينَ خلجاتِ صدرِهِ، فيرى فيهِ شرَّ المجدِّداتِ على الحيِّ، ويراهُ عدوًا ومغيِّرًا طريقَ الحياةِ أمامَهُ، ويعدُّهُ علامةً مِن علاماتِ الكِبَرِ والولوجِ إلى مرحلةٍ جديدةٍ مِن حياةِ الإنسانِ، هيَ انتظارُ الموتِ، يقولُ:

أيهـــا الشَّـــيبُ: قـــد ذَعَـــرتَ ظِبـــاءً سَـــمِعَت فـــيَّ دُونهـــا تهديـــدَكْ
عَجَبِـــي مِـــن نِفـــارِهِنَّ ولـــم تُهـــ ـــدِ إلـــيهِنَّ، بـــل إلـــيَّ وعيـــدَكْ
ولقـــد كُنـــتَ مِـــن أمـــانيَّ مُـــذ كنـــ ـــتُ، وإن كـــانَ مـــذهبِي أن أكيـــدَكْ
يـــا عجيبًـــا مِـــن كُـــلِّ وجـــهٍ: ألا تَعـــ ـــجب مِـــن ذي حجًـــا تمنَّـــى زهيـــدَكْ
أنـــتَ شَـــرُّ المُجـــدِّداتِ علـــى الحيـــ ـــيِّ ولا بـــأسَ باكتســـابِي جديـــدَكْ
ولَمّـــا قُلـــتُ ذاكَ مُلتَـــذّ مكـــرو هـــكَ جهـــلًا ومُســـتَهينًا شـــديدَكْ
أنـــتَ عنـــدي العَـــدُوُّ أكـــرهُ إقـــدا مَـــكَ لكـــن أرى ردَى تغريـــدَكْ

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 385/1.

[2] الشمريّ، ثائر سمير حسن: **الاعتراض في الشعر العباسي: مفهومه، موقعه، دلالته، بلاغته**، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص172.

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 1139/3.

مـا أرى مِـن مُشَـرِّدٍ غيـرَ خصميـ ـــكَ وإلّا مُبِيـــدَهُ ومُبيـــدَكْ
أنـتَ والمـوتُ غائبـانِ لـذي الصِّبـ وَةِ تلقـــى حياضَـــهُ أو مُذيـــدَكْ
فـابقَ لـي صـاحبي علـى رغمِ أنفِـي حُبِّـــيَ العـيشَ حـاكمٌ أن أريـدَكْ
قـــد أبـــى اللهُ أن تكـــونَ فقيـــدِي وأبـــى اللهُ أن أكـــونَ فقيـــدَكْ[1]

والمرارةُ التي استوطنت قلبهُ لخوفهِ مِنَ الموتِ وتمسُّكِهِ بالحياةِ، جعلتهُ يمزِجُ هذهِ المرارةَ في كِبَرِهِ بشيءٍ مِنَ السُّخريَةِ، فالفتاةُ التي كانت سببًا مِن أسبابِ الحياةِ، تُذكِّرهُ الآنَ بالموتِ؛ لاختلافِ حديثها معهُ، فتناديهِ بالعمِّ لكِبَرِ سِنِّهِ، وقد كانت تُناديهِ أخي عندما كانَ شابًا يافِعًا، ولعلَّ شيخوخةَ ابنِ الروميِّ المبكرَةَ جعلتِ الفتاةَ التي نادتهُ أخي تناديهِ في السَّنواتِ القريبةِ الّلاحقةِ بالعمِّ، ويمكِنُنا تخيُّلَ الحالةِ النَّفسيَّةِ السيِّئةِ للشّاعرِ في هذا الموقفِ القاسي، نظرًا لعلمِنا بمدى خوفهِ مِنَ الموتِ، وإصرارِهِ على تَذَكُّرِ أيّامِ الشَّبابِ، يقولُ:

وأصـبَحتُ عَمًّـا للفتـاةِ مُـوَقَّرًا وقــد كُنــتُ أيّــامَ الشَّــبابِ لَهــا أَخــا
ومـا عَجَـبٌ أن كـانَ ذاكَ فإنَّـهُ إذا المــرءُ أشــوَتهُ الحَــوادِثُ شَــيَّخا[2]

وحاولَ الشّاعرُ تلميعَ صورةِ الشَّيبِ؛ ليأخذهُ إلى عالمِ الغانياتِ والفتياتِ الحسانِ، ويرجعهُ إلى ذكرياتِ الشَّبابِ التي مازالت أهازيجُها تُدقُّ في أُذنيهِ، فنراهُ يقدِّمُ نماذجَ شِعريَّةً تحملُ في طيّاتها صُورًا حسنةً للشَّيبِ، غايتهُ منها العودةُ إلى مظاهرِ الحياةِ المجبولةِ بفِكرِهِ وعقلِهِ.

فابنُ الروميِّ أتى على صاحبتهِ التي تعجبت مِن شيبهِ، وقد حاولَ استرضاءَها بحكمةٍ فشلت معهُ، فكما قد يشيبُ الفتى في صغرِهِ، كذلكَ قد يحملُ الغصنُ حديثُ العهدِ نوَّارَهُ الذي يؤولُ إلى ثمرٍ، فعَمِدَ إلى أن يقولَ لها أنَّ الشَّيبَ علامةُ النُّضوجِ، وذلكَ تفاديًا للخجلِ منهُ أمامَها، إلّا أنَّها طلبت منهُ أن يتخضَّبَ بالأسودِ لمحوِ الشَّيبِ المعيبِ، فمحوُ المعيبِ ليسَ معيبًا، يقولُ:

شـابَ رأسِـي ولاتَ حـينَ مَشـيبِ وعجيــبُ الزَّمــانِ غَيــرُ عَجِيــبِ
فـاجعلي موضعَ التعجُّبِ مِن شَيـ ـــبِيَ عُجبًـــا بفَرعـــكِ الغِربيـــبِ
قـد يشـيبُ الفتـى ولـيسَ عجيبًـا أن يُرى النورُ في القضيبِ الرَّطِيبِ

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 781/2.

[2] نفسه، 574/2.

ســـاءَها أن رأت حبيبًـــا إليهـــا ضـاحِكَ الـرَّأسِ عَـن مفـارِقَ شِـيبِ
فدَعَتـــهُ إلـــى الخُضـــابِ وقالـــت إنَّ دفـنَ المَعيـبِ غيـرُ مَعيـبِ[1]

ويرى ابنُ الروميِّ في الشَّيبِ بشرى وفوزًا عظيمًا، وقد "ابتدعَ أسطورةَ التَّلاقي معَ الشَّبابِ مرَّةً ثانيةً فيما بعدَ الموتِ بعدَ تفرُّقٍ بينهما –على الرَّغمِ منهُ– في الحياةِ الدُّنيا"[2]، فخوفهُ مِنَ الموتِ جعلهُ ينظرُ إلى ما بعدَهُ، وفي الاعتقادِ أنَّ المؤمنَ إذا دخلَ الجنَّةَ رجعَ شابًّا، ووردَ ذلكَ في الحديثِ الشَّريفِ، "**عَن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: أَهلُ الجَنَّةِ جُردٌ مُردٌ كُحلٌ لا يَفنَى شَبابُهُم، وَلا تَبلَى ثِيَابُهُم**"[3]، ولذلكَ أتى على تقوى اللهِ والحثِّ على ذلكَ، أملًا منهُ، لا بنعيمِ الجنَّةِ، وإنَّما بنعيمِ الشَّبابِ في الجنَّةِ، وهذا التَّمسُّكُ منقطعُ النَّظيرِ بالشَّبابِ جعلهُ أخيرًا لا يذمُّ الموتَ وإنَّما يمدحُهُ، فلن يسمّيهِ نعيًا وإنَّما سيسمّيهِ بشرى، فهوَ المُخلِّصُ مِنَ الشَّيخوخةِ؛ ليعودَ الشَّبابُ إليهِ في العالمِ الآخرِ، وهذا التَّفكيرُ الذي يُنبئُ عَن شيءٍ مِنَ الجُنونِ واستباقِ الأحداثِ، وتأكيدِها قبلَ أن تقعَ –ونقصدُ بذلكَ دخولَ الشّاعرِ إلى الجنَّةِ– كانَ سببهُ الرئيسُ الشَّيبَ الذي اجتاحَ الشّاعرَ ولاحقَهُ، فجعلَهُ يأتي على ذكرِهِ، يقولُ:

كفـى بالشَّـيبِ مِـن نـاهٍ مُطـاعِ علـى كُـرهٍ ومِـن داعٍ مُجـابِ
حططتُ إلى النُّهى رحلي وكلَّت مطيَّـةُ بـاطلي بعـدَ الهِبـابِ
وقلـتُ مُسـلِّمًا للشَّـيبِ أهـلًا بهادي المخطئينَ إلى الصَّوابِ
ألسـتَ مُبشِّـري فـي كـلِّ يـومٍ بوشـكِ ترحُّلـي إثـرَ الشَّـبابِ
لقـد بشَّـرتني بلحـاقِ مـاضٍ أحـبَّ إلـيَّ مِـن بَـردِ الشَّـرابِ
فلسـتُ مسـمِّيًا بُشـراك نَعيًـا وإن أوعـدتَ نفسِـي بالـذَّهابِ
لـك البُشرى ومـا بُشراك عنـدي سـوى ترقيـعِ وَهيـكَ بالخضـابِ
وأنـتَ وإن فتكـتَ بحـبِّ نفسـي وصـاحبِ لـذَّتي دونَ الصِّحابِ
فقـد أعتبتنـي وأمـتَّ حِقـدِي بِحَثِّـك خَلفَـهُ عَجِـلًا ركـابِي
إذا ألحَقتنـي بشـقيقِ عَيشِـي فقـد وَفَّيتَنِـي فيـهِ ثـوابِي

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 138/1.

[2] الخويسكي، أماني زين كامل: **قضية الزمن في شعر ابن الرومي**، ص74، نقلا عن كتاب الشَّباب والمشيب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي الأول، عبد الرحمن هيبة ص612.

[3] لترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤره بن موسى: **سنن الترمذي، وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل**، تحقيق صدقي جميل العطار، ط1، دار الفكر، بيروت، 2005، ص731.

وحسبي مِن ثوابي فيهِ أنِّي وإيَّاهُ نؤوبُ إلى مآبِ[1]

وفي أبياتٍ أخر يكرِّرُ الشّاعرُ فكرتَهُ السّابقةُ، وهي أنَّ الشَّيبَ مَسلَكٌ يودي بهِ إلى الشَّبابِ يقولُ:

قالوا المشيبُ نذيرٌ قلتُ لا وأبِي لكن بشيرٌ يجلِّي وجهُهُ الكُرَبا
أليسَ يخُبر مَن أرسَى بساحتِهِ أنَّ اللَّحاقَ بحبِّ النَّفسِ قَد قَرُبا
يا حُسن هاتيك بشرى عندَ ذي أسفٍ على الشَّبيبةِ والعيشِ الذي نضَبا
لم يرعَ حقَّ شَبابٍ كانَ يصحبُهُ مَن لم يُحَبِّب إليهِ فَقدُهُ العَطَبا[2]

وطَمَعُ ابنِ الروميِّ في الجنَّةِ لعودةِ الشَّبابِ أجبرَهُ على أن يُحسِّنَ مِن سُلوكِهِ في نهايَةِ العمرِ؛ لضمانِ الجنَّةِ، فنراهُ يقولُ أبياتًا بهذا المعنى:

شربتُ وقد كانَ الشَّبابُ مُحلِّلًا مِنَ الرَّاحِ ما كانَ الكتابُ مُحرِّما
وقد طابقَ الشَّيبُ الكتابَ فحرَّمت على فيكَ تحريمينِ إن كنتَ مسلما
وما بعد تحريمينِ في الكأسِ مشربٌ لِمَن كانَ مِن أهلِ الحِجا متوسِّما
وقد كانَ قبلَ الدِّينِ في الشَّيبِ واعظٌ لِمَن كانَ مِن شُرَّابها متأثِّما
كما كانَ قبلَ الدِّينِ في الشَّيبِ زاجرٌ لِمَن كانَ مِن شُرابها متكرِّما
فدع شُربها إذ أصبحَ الرَّأسُ مُشرقًا مُحاذرةً أن يُصبحَ القلبُ مُظلما
ولاتَرينكَ السِّنُّ واللَّهُ والنُّهى على الشَّيبِ والإسلامِ واللومِ مُقدِما[3]

فابنُ الرومي في هذهِ الأبياتِ يجري مقابلةً بينَ الحياةِ التي كانَ يعيشها في ظلِّ الشَّبابِ والحياةِ التي كانَ يعيشها في ظلِّ الشَّيبِ، فالشَّبابُ كانَ محللًا شرعيًا، حللَ ما حرَّمه الدّين الإسلاميّ، لكنَّ الشَّيبَ طابقَ الدّينَ وخالفَ ما حللهُ الشَّبابُ من ملذاتِ الحياةِ، فأصبحَ زاجرًا، متّعظًا، متمسِّكًا بالدّينِ.

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 1/255-256.
(2) نفسه، 1/337.
(3) نفسه، 6/ 2253-2254.

والواضحُ في هذهِ الأبياتِ أنَّ ابنَ الرومي مازالَ متمسِّكًا بالحياةِ، خائفًا منَ الموتِ؛ لأنَّ دعوتَهُ لتركِ ملذّاتها لم تكن في مراحلِ حياتهِ جميعِها، بل خصَّصَ ذلكَ في مرحلةِ الشَّيبِ وذلكِ في قولهِ" فدع شربَها إذ أصبحَ الرأسُ مشرقًا"، وذلكَ خشيةً من قدومِ الموتِ ودنوِّ الأجلِ.

وبعدما حلّ الشّيبُ على مفرقيهِ ضيفًا، تتابعتِ الخطوبُ نحوهُ واحدةً تلوَ الأخرى، فأجبرهُ ذلكَ أن يَعدِلَ عن لهوهِ الذي كانَ ملاصقًا للشبابِ، إلى الرُّشدِ والهدايةِ، يقول:

عدلتُ عَنِ الصِّبا صَعَري وَمَيلي وشمرَّتِ الخطوبُ فضولَ ذَيلي
وأوضحَ لي المشيبُ سبيلَ رشدٍ وكنتُ كخابطٍ عَشواءَ ليلِ[1]

وعلى الرّغمِ من مدحِ ابنِ الرومي للشيبِ، إلَا أنّهُ لا ينفكُّ عن مدحِ الشّبابِ والتَّعلقِ بهِ، وكما في الشّيبِ حلمٌ ورزانةُ عقلٍ، كذلكَ في غوايةِ الشَّبابِ ترفٌ ولهوٌ، ولا شكَّ أنَّ في مدحهِ الشَّيبَ بُعدٌ عنِ المصداقيةِ، فعجزهُ ويأسهُ عن العودةِ إلى متعِ الحياةِ، أجبرهُ في نهايةِ المطافِ على مدحهِ والاستسلامِ لهُ، فأطلقَ عليهِ صفةَ الرُّشدِ، والهدايةِ، يقولُ:

الشَّيبُ أحلمُ والشَّبيبةُ أظرفُ والرُّشدُ أسلمُ والغوايةُ أترفُ
ذهبَ الشَّبابُ فبانَ ما لا يُرتَجَى وأتى المشيبُ فجاءَ ما لا يُصرَفُ
وكلاهما لابدَّ منهُ لمَن نجا مِن أن يُعاجِلَهُ ردىً مُستسلِفُ
والمرءُ أما مِن مخاوفِ دهرِهِ فحرىً وأما بالمُنى فمسوَّفُ
ولربَّما عدلت عليكَ صُروفُهُ فأصابكَ المأمولُ والمتخوَّفُ
أصبحتُ أنظرُ في الأمورِ فأجتوي منها عيوبَ عواقبٍ تتكشَّفُ
والشَّيبُ أغرانِي بذاكَ ولم يزل يُغري الغويَّ برشدِهِ ويعنِّفُ
عجبًا لذمِّي ما يزيدُ هِدايتي غضبًا لآخرَ كانَ بي يتعسَّفُ[2]

وبعدما عرضَ الباحثُ النَّماذِجَ التي ذمَّ فيها ابنُ الروميِّ الشَّيبَ، والنَّماذِجَ التي مدحهُ فيها، تبيَّنَ أنَّ ابن الرومي نفرَ من الشيبِ الذي شكّلَ لديهِ عقدةً في حياتهِ، تمثّلت في خوفهِ الشديدِ منَ الموتِ، وأما مدحهُ الشيبَ، فكانَ لغاياتٍ يتخفّى وراءَها، قاصدًا فيها مآربَ دنيويةً، ومنها تحسينُ صورةِ الشَّيبِ وتلميعِها، والهروبُ مِنَ الموتِ شغفًا بالحياةِ، والاقترابُ مِنَ الغواني

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 5/ 2031.

[2] نفسه، 4/1585.

اللواتي صرفنَ أنظارهنَّ عنهُ، والعودةُ إلى ذكرياتِ الشَّبابِ واستكمالها في الحياةِ الآخرةِ، فاستسلمَ للشَّيبِ والموتِ؛ لأنَّ فيهما ضربًا مِنَ الحياةِ وعودةً للشَّبابِ.

المَبحَثُ الثّاني

المَرَضُ

إنَّ الإنسانَ وإن كانَ في أوجِ صحَّتِهِ وعافيتِهِ، فإنَّهُ قد تواجهُهُ في حياتِهِ أمراضٌ مختلفةٌ ومتعددةٌ، منها النَّفسيَّةُ أو الفيسيلوجيَّةُ، تنتجُ عنِ الظُّلمِ والفقرِ والشُّعورِ بالوحدةِ، وخيبةِ الأملِ والفشلِ في الحياةِ وفقدانِ الأحبَّةِ والتَّقدُّمِ في السِّنِّ، وغيرِها مَنَ الأسبابِ التي جعلت للمرضِ مسكنًا فيهِ، وقد جسَّد الشُّعراءُ المرضَ في شعرِهِم، وعدُّوهُ ملمحًا مِن ملامحِ الموتِ، فالموتُ "مرضُ الأمراضِ الذي لا شفاءَ مِنهُ أبدًا، ولا علاجَ ناجحًا لهُ مطلقًا"[1]، وهذا ما عبَّرَ عنهُ أبو العتاهيةِ في قولِهِ:

والمـــــوتُ آخـــــرُ علَّـــــةٍ يعتلُهـــــا البـــــدنُ العليـــــلُ[2]

وابنُ الروميِّ كما ذكرنا سابقًا تعرَّضَ لخطوبَ جسيمةٍ في حياتِهِ، ربَّما كانت دافعًا في محاصرتِهِ بالأمراضِ والأسقامِ التي جعلتُهُ يعيشُ صراعًا مريرًا معَها، فغيَّرَت نضارتَهُ وجمالَهُ الذي كانَ يتغنَّى بهِ، "لكنَّ هذا الجمالَ، وهذهِ النضرةَ هبَّت عليها ريحٌ عاتيةٌ في نوَّارٍ، فعادَ الرَّبيعُ خريفًا"[3]، وتسارعتِ السُّنونَ عليهِ سُرعةَ البرقِ، وشاخَ مُبكِّرًا، وازدادتِ العللُ فيهِ وتتابعت.

وثمَّةَ أمراضٌ لاحقتِ الشّاعرَ في سنيِّ حياتهِ، وبدت جليَّةً في شعرِهِ، ومنها تقوسُ الظَّهرِ وضعفُ البصرِ والسَّمعِ، والخللُ في المشي وعدمُ الاتِّزانِ، والصَّلعُ، ومرضُ السُّكري، وغيرها مِنَ الأمراضِ الجسديَّةِ والنَّفسيَّةِ التي قد تكونُ سببًا في تفكيرِهِ في الموتِ والقلقِ مِنهُ.

أمّا مرضُ التحدُّبِ أو تقوسُ الظَّهرِ الذي آلمَ الشّاعرَ في حياتِهِ، فنراهُ يعبِّرُ عنهُ في أبياتٍ يقولُ فيها:

وأضـــحت قنـــاةُ الظَّهـــرِ قُـــوِّسَ متنُهـــا وقـــد كـــانَ معـــدولًا وإن عشـــتُ فخَّخـــا[4]

---

[1] ينظر: عبد الخالق، أحمد محمد: **قلق الموت**، ص12.

[2] أبو العتاهية، أبو إسحق إسماعيل بن القاسم: الديوان، دار صادر، بيروت، 1964، ص358

[3] شلق، علي: **ابن الرومي في الصورة والوجود**، ص29.

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 2 /574.

ويقولُ أيضًا مُعبِّرًا عَنِ الألمِ الذي اعتراهُ مِن تقوُّسِ الظَّهرِ وأدَّى بهِ إلى ضعفِ جسدِهِ، وعدمِ توازنِه:

أقولُ وقد شابت شَوَاتِي وَقَوَّسَت قَنـاتِي وأضحَت كِدنِتي تَتَخـدَّدُ
ودبَّ كَـلاَلٌ فـي عِظـامِي أدَبَّنِـي جَنِيبَ العصا أَنـأَدُّ أو أتَأَيَّدُ[1]

ويكرِّرُ قولهُ أيضًا:

وأرى قَـوامي لُـجَّ فـي تقويسِـهِ ولقد يُلَجُّ اللينُ فـي تعطيفِـهِ[2]

وقد وقفَ العقّادُ على تقوُّسِ ظَهرِهِ وارتباطهِ بالشَّيخوخَةِ، فقالَ: "أمّا في الشَّيخوخةِ فقد تبدَّلَت ملامحُهُ وتقوَّسَ ظهرُهُ ولحقَ بهِ ما لابدَّ أن يلحقَ بمثلِهِ مِن تغييرِ السِّقامِ والهمومِ"[3]، ولعلَّنا نستَشفُّ مِنَ الحالةِ المرضيَّةِ التي لازمتِ الشّاعرَ مبكرًا خوفَهُ مِنَ الموتِ، خاصةً وأنَّهُ قد تَحوَّلَ مظهرُهُ مِن مَظهَرِ الإنسانِ الشّابِّ إلى مَظهَرِ الإنسانِ العاجزِ الذي لم يبقَ مِن عمرِهِ شيءٌ، ونلحظُ في تقوُّسِ ظهرِهِ إشارةً إلى الضَّعفِ والتَّوجُهِ نحوَ الأرضِ وملاصقتِها، أو التَّوجُّهِ نحوَ القبرِ (الموت) الذي ينتظرُهُ؛ ليركُدَ فيهِ إلى الأبدِ.

وأمّا ضعفُ البصرِ والسَّمعِ، فقد دلَّلَ عليهما في قولِهِ:

وأحـدثَ نُقصـانُ القُـوَى بـينَ نـاظِري وسـمعِي وبـينَ الشَّـخصِ والصَّـوتِ بَرزَخـا[4]

ويشكو ضعفَ بصرِهِ في قصيدتِهِ الدّاليَّةِ التي أطلقَها في صُلحِ عُبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ وأخيهِ سليمانَ، ويأتي فيها على حالتِهِ المرضيَّةِ التي دفعت بهِ نحوَ الهلاكِ، يقولُ:

شُـغِلتُ عنـك بعُـوَّارٍ أكابـدُهُ لا بـالملاهي ولا مـاءِ العَناقيـدِ[5]
ولـو قَعَـدتُ بـلا عـذرٍ لَمَهَّـدَ لـي جميـلُ رأيـكَ عُـذري أيَّ تمهيـدِ
قاسـيتُ بعـدَكَ لا قاسـيتَ مثلهُمـا نهـارَ شـكوى يُبـارِي ليـلَ تسـهِيدِ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 586/2

(2) نفسه، 1587/4.

(3) ينظر: العقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، ص86.

(4) ابن الرومي: **الديوان**، 574/2.

(5) العوار: ذهابُ حِسِّ إحدى العَينَين، ينظر: **لسان العرب**، مادة عَوَرَ.

أُمسي وأُصبحُ في ظلماءَ مِن بَصَري فما نهاريَ مِن لَيلي بمحدودِ
إذا سَمعتُ بذِكرِ الشَّمسِ آسَفَني فَصَعَّدَت زفراتي أيَّ تصعيدِ[1]

ويبدو ابنُ الروميِّ واضحًا وصريحًا في تشخيصِ ذاتِهِ المريضةِ، فيطلعُنا على اختلالِ توازنِهِ وشعورِهِ بالسُّقوطِ، وقد توقّف النويهيِّ على حالتِهِ المرضيَّةِ، وأرجعَ هذا الخللَ إلى مرضٍ عصبيٍّ ينتجُ عنهُ تشنُّج المفاصلِ واهتزازُ أجزاءٍ مِن جِسمِ الإنسانِ، وهذا المرضُ قد يصيبُ الأيدي والرؤوسَ ونواحيَ مختلفةً مِنَ الجسمِ، فالمؤثِّراتُ الجسمانيَّةُ والبيئيَّةُ زادت مِن حِدَّةِ الاختلالاتِ في داخلِ جسمِهِ[2]، وهذا ما نراهُ في قولِهِ:

إنَّ لي مشيةً أغربلُ فيها آمنًا أن أُساقطَ الأسقاطا[3]

وحينما رأى الشّاعرُ شعرَهُ يموتُ ويتساقطُ، انتابهُ الهلعُ والخوفُ، وصوَّرَ ذلكَ بالحريقِ الهائِجِ على عشبٍ يابسٍ، أو كالموتِ المندفعِ نحوهُ وهوَ في مُقتبلِ عمرِهِ، يقولُ:

شعرٌ ميِّتٌ لذي وطَرٍ حيـ ـيٍ كنارِ الحريقِ ذات اللهيب
معهُ صبوةُ الفتى، وعليه صَرفةُ الشيخ، فهو في تعذيب[4]

وأمّا الصَّلعُ الذي اعتلَّ الشّاعِرَ، فهوَ ناتجٌ عَنِ الحالةِ النَّفسيَّةِ التي يعيشُها، ما جعلهُ يلبسُ العمامةَ، لعلَّها تسترُ عيوبَهُ، يقولُ:

عزمتُ على لُبسِ العمامةِ حِيلةً لتسترَ ما جرَّت عليَّ مِنَ الصَّلع[5]

ويضعُنا ابنُ الروميِّ أمامَ صورتِهِ التي التقطَها مِن وَحيِ مأساتِهِ ومعاناتِهِ، فيرسمُ لنا صورةً شاحبةً، سوداويةً، مجبولةً مِنَ الصَّلعِ والشَّيبِ، كلَّما نظرَ إليها في المرآةِ ماتَ هولًا ورعبًا مِن قبحها وسوءِ منظرِها، يقولُ:

من كانَ يبكي الشَّبابَ مِن جَزَعٍ فلستُ أبكي عليهِ مِن جَزَعِ

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 629/2.
(2) ينظر: النويهي، محمد: **ثقافة الناقد**، ص131.
(3) ابن الرومي: **الديوان**، 1438/4.
(4) نفسه، 140/1.
(5) نفسه، 1463/4.

فــإنَّ وجهـــي بقُـــبحِ صـــورتِهِ ... مــا زالَ بــي كالمشـيبِ والصَّـلعِ
أشــبَّ مــا كنــتُ قــطُّ أهــرمَ مــا ... كنــتُ فســبحانَ خــالقِ البِــدعِ
إذا أخـــذتُ المـــرآةَ أســـلَفَنِي ... وجهي وما مُتُّ هولَ مطَّلَعِي[1]

وقد رأى العقّادُ أنَّ صراعَهُ معَ العِللِ والأمراضِ أودى بهِ إلى الموتِ، ولا سيَّما مرضَ السُّكريِّ الناجمَ عَن إفراطِهِ ونهمِهِ في تناولِ الحلوى[2]، وقد جسَّدَ ابنُ الروميِّ مرضَهُ في آخرِ لحظاتِ حياتِهِ، حينما طلبَ الوزيرُ القاسمُ بنُ عبيدِ اللهِ[3] مِنَ ابنِ فراسٍ دسَّ السُّمِّ في الخشكنانجة[4]، خشيةً مِن لسانِهِ المُقذِعِ، لكنَّ حبَّهُ الشديدَ لتلكَ الحلوى، جعلهُ يلتهمُها والسمّ بداخلِها، وبدأت علاماتُ المرضِ تظهرُ عليهِ، فقد جفَّ ريقُهُ واشتدَّ بهِ العطشُ، وازدادَ إلحاحُهُ على طلبِ الماءِ، لكنَّ الماءَ لم يروِ عطشَهُ، ولم يطفئِ اللهيبَ في داخلِهِ جرَّاءَ صراعِهِ معَ المرضِ، بل على النَّقيضِ مِن ذلكَ، فقد رأى فيهِ وقودًا يزيدُ اشتعالًا وألمًا بداخلهِ، وظلَّ معَ هذا الصِّراعِ العنيفِ إلى أن نزلت بهِ صواعقُ الموتِ، وعادتِ الرّوحُ إلى بارِئِها، يقولُ:

أشـربُ المـاءَ إذا مـا التهبَـت ... نــارُ أحشــائِي لإطفــاءِ اللَّهَــب
فــأَراهُ زائـــدًا فـــي حُرقتِـــي ... فكــأنَّ المــاءَ للنّــارِ حَطَــب[5]

ويقولُ أيضًا:

غـــدًا ينقطـــعُ البـــولُ ... ويـــأتي الويـــلُ والغـــولُ
ألا إنَّ لِقـــــــــاءَ اللهِ ... هـــولٌ دونـــهُ الهـــولُ[6]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 1470/4.

[2] ينظر: العقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، ص206.

[3] وَلِيَ الوِزَارَةَ للمُعتَضِدِ بَعدَ مَوتِ والدِهِ الوَزِيرُ الكَبِيرُ عُبَيدُ اللهِ، فِي سَنَةِ ثَمانٍ وَثَمانِينَ، وَظَهَرَت شَهَامَتُهُ، وَزَادَ تَمَكُّنُهُ، فَلَما ماتَ المُعتَضِدُ فِي سَنَةِ تِسعٍ وَثَمانِينَ وَمائَتَينِ، قامَ القاسِم بِأَعباءِ الخِلاَفَةِ، وَعَقَدَ البَيعَةَ للمُكتَفِي، وَكانَ ظَلُومًا عاتيًا، يَدخُلُهُ مِن أَملاَكِهِ فِي العامِ سَبعِ مائَةِ أَلفِ دِينَارٍ، وَإِنَّما تَقَدَّمَ بِخِدمَتِهِ للمُكتَفِي، وَكانَ سَفَّاكًا للدِّماءِ، أَبادَ جَماعَةً، وَلَمَّا ماتَ شَمِتَ النَّاسُ بِموتِهِ. ينظر: الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، ج18/14.

[4] أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970، 361/3. الخشكنانجة: نوع من الخبز يعمل بالزبد والسكر واللوز والفستق وهو على شكل الهلال. ينظر: دوزي رينهارت: **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981، 102/4.

[5] ابن الرومي: **الديوان**، 350/1.

[6] العقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، ص61.

ويطلعُنا ابنُ الروميِّ على صورةِ المرضِ في رثاءِ ابنهِ محمَّدٍ، ويشخِّصُ صراعَهُ معَ المرضِ في "صورٍ صادقةٍ تكادُ تكونُ حرفيَّةً في صدقِها"[1]، ويعقدُ مقارنةً بينَ صورتهِ قبلَ المرضِ وبعدَهُ، فقبلَ المرضِ كانَ عذبًا، محمرَّ الوجهِ، مُشعًّا، تبدو عليه نضارةُ الحياةِ، وبعدَ إلحاحِ المرضِ عليهِ، تغيّرت تقاسيمُ شكلهِ، فأصبحَ مصفرَّ الوجهِ، وهِنَ الجِسمِ، إلى أن جفَّ ماءُ حياتِهِ، ونُزعت روحُهُ كما تُنزَعُ الجوهرةُ النَّفيسَةُ مِنَ العقدِ، يقولُ:

تـــنغَّصَ قَبـــلَ الـــرَّيِّ مـــاءُ حَياتـــهِ ... وفُجِّـــعَ منـــهُ بالعذوبـــةِ والبـــردِ
ألـــحَّ عليـــهِ النَّـــزفُ حتَّـــى أحالـــهُ ... إلـى صُفرةِ الجـاديِّ عَن حُمرةِ الـوردِ
وظـلَّ علـى الأيـدي تسـاقَطُ نَفسُـه ... ويـذوِي كمـا يـذوي القضيبُ مِنَ الرَّنـدِ
فَيالـكِ مِـن نفـسٍ تسـاقَطُ أنفسًـا ... تسـاقط درٍّ مِـن نِظـام بـلا عقـدِ[2]

وأمّا في مجرياتِ الأحداثِ التي وقعت في العصرِ العباسيِّ، فلا يبتعدُ الشّاعرُ في حديثِهِ عَنِ المرضِ، فيعودُ واصفًا إياهُ، ويعدُّهُ ملمحًا مِن ملامحِ الموتِ، ومِن بينِ هذهِ الأحداثِ ما حلَّ بمدينةِ البصرةِ، التي كانت مرتعًا للزنوجِ الذينَ عاثوا فيها خرابًا ودمارًا[3]، وقد وصفهم الشّاعرُ بالدّاءِ القاتلِ، الذي أصابَ مدينةَ البصرةِ، وجعلها في صراعٍ عنيفٍ معَ هذا المرضِ الذي كتمَ على أنفاسِها، لذلكَ يطلبُ الشّاعرُ مِن صاحبيهِ أن يشعرا بالألمِ الذي حلَّ بالبصرةِ، وأن يدخلاها كدخولِ المريضِ الذي غطّى المرضُ جسدَهُ، يقولُ:

عرِّجا صاحبيَّ بالبصرةِ الزَّهـ ... ـراءِ تعريجَ مُدنفٍ ذي سـقامِ
فاســألاها ولا جــوابَ لــديها ... لسـؤالٍ ومَـن لهـا بـالكلامِ[4]

وفي خضمِّ الأحداثِ المتلاحقةِ التي يرمي بِها الزمنُ أهلَهُ، نرى الشّاعرَ واصفًا إياهُ بالمرضِ الجالبِ للموتِ، إذ إنَّهُ يتشاكلُ في عقلهِ معَ صورةِ الأبِ، لكن رغمَ برِّهِ إلّا أنَّهُ مذمومٌ لديهِ، يلاحقُ البشريَّةَ بالأسقامِ المميتةِ، ويوهنُ أجسادَهُم ويغيِّرُ مِن ملامِحِهِم، يقولُ:

أبٌ إذا بَـــرَّ أبلانـــا وأهرمَنـــا ... قُبحًـا لـــهُ مِـن أبٍ بالـذَّمِ ملسـونِ

---

(1) النويهي، محمد: **ثقافة الناقد**، ص366.

(2) ابن الرومي: الديوان، 625/2.

(3) ينظر: قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة: **الديوان**، 2379/6

(4) نفسه: 2379/6.

نُضحِي لـهُ كقِداحٍ فـي يَدَي صَنَع ... فكُلُّنـــا بـــينَ مَبـــرِيٍّ ومســـفونِ
يغـــادرُ الجَلـــدَ منّـــا بعـــدَ مِرَّتـــهِ ... عَظمًـا دقيقًـا وجِلـدًا غيـر مـودونِ
نِضـوًا تـراهُ إذا مـا قـامَ مُعتَصِـمًا ... بـالأرضِ يَعجِـنُ منهـا شَـرَّ معجـونِ
حتَّـى إذا مارُزِئنـا صـاحَ صـائحُهُ ... لـيسَ الخلـودُ لـذِي نَفسٍ بمِضـمُونِ
هـذا وإن عـفَّ فـالأدواءُ مُعرِضَـةٌ ... مِـن بـينِ حُمَّـى وبِلسـامٍ وطـاعونِ
والحـربُ تضـرِمُها فينـا حوادثُـهُ ... حتَّـى نُـرَى بينَ مضروبٍ ومطعون[1]

ولا شكَّ في أنَّ ابنَ الروميِّ يحملُ ملامحَ العبقريَّةِ في شِعرِهِ، فيقدِّمُ رؤيةً تجاهَ الحياةِ والمرضِ والموتِ، يعكسُ فيها مشاقَّهُ والآمَهُ، ويرى أنَّ الحياةَ والموتَ كلاهما يُهلكانِ جِسمَ الإنسانِ، لكنَّ مرضَ الحياةِ يستبقُ مرضَ الموتِ في هلاكِهِ، ويغيِّرُ في قسماتِهِ، وذلكَ في المرحلةِ الممتدَّةِ مِنَ الشَّبابِ إلى الشَّيخوخَةِ، بدايةً بالصِّراعِ القائمِ بينَ الشَّعرِ الأبيضِ والأسودِ، إلى أن يغطّيَ ثنايا الرَّأسِ ولا يُبقي للسَّوادِ مكانًا فيهِ، وينتقلُ هذا المرضُ إلى أسنانِ الإنسانِ النّاصعةِ البياضِ، فيسوِّدُها ويضعفُها حتّى تتساقطَ جميعُها، ويأتي بعدَها الموتُ؛ ليكملَ مهمَّتهُ في إذابةِ أعضاءِ الإنسانِ، وهذهِ الرؤية التي أجادَها الشّاعرُ نابعةٌ عَن تجربةٍ قاسيةٍ عاشَها في حياتِهِ، فقد أكلت أمراضُ الحياةِ جسدَهُ، مستبقةً الموتَ في ذلكَ، يقولُ:

غِيَـــرُ الحيـــاةِ إلـــى الشُّـــعو ... ـــرِ ســـريعةٌ وإلـــى الثُّغـــورِ
فتراهمـــــــا يتغيـــــــرا ... ـــنِ وكـــلُّ عُضـــوٍ ذو وُفـــورِ
هـــذِي تَشـــيبُ، وهـــذهِ ... تَبلَـــى علـــى مـــرِّ الشُّـــهورِ
يَسْـــوَدُّ أبيضُـــها ويَبـــ ... ـــيضُّ البهـــيمُ بغيـــرِ نـــورِ
حتَّـــى إذا غِيَـــرُ الممـــا ... ـــتِ أتـــت علـــى أهـــلِ القُبـــورِ
بـــدأ البَلـــى بســـوى الثغـــو ... ـــرِ هنـــالكم وســـوى الشُّـــعورِ
فـــالموتُ يســـتبقي الـــذي ... تُبلـــي الحيـــاة مِـــنَ الأمـــورِ
والعـــيشُ يســـتبقي الـــذي ... تُبلـــي المنيـــةُ غيـــرَ زُورِ[2]

وابنُ الروميِّ يخشى على نفسِهِ مِنَ المرضِ النّاتِجِ عَن حرِّ الصَّيفِ، فنراهُ يستنجدُ ممدوحَهُ القاسمَ كي يزيلَ آثارَ الصَّيفِ التي نُقشت على جسدِهِ، فأمرضتهُ وقرَّبتهُ مِنَ الهَلاكِ، وكأنَّ الممدوحَ

---

[1] ينظر: قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة: **الديوان**، 6/2463-2464.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 3/1090.

هوَ فصلُ عودةِ الحياةِ إلى جسدهِ وفصلُ انتهاءِ المرضِ ورحيلهِ وطردِ فكرةِ الموتِ التي تسكنُ فكرَهُ، يقولُ:

أيا حسرتا إن أفسدَ الصيفُ صِحَّتي فضاعفَ حاجاتي وأوهَى قوى نَهضِي
أُريـــدُ كريمًـــا قبـــلَ ذاكَ كقاســـمٍ يصونُ حياتي والمُمنَّعَ مِن عِرضِي[1]

وعندما طفحَ بهِ الكيلُ مِنَ المرضِ أخذَ يستنجدُ مَن حولهُ، وكأنَّهُ يريدُ أن ينالَ التَّعاطفَ الجمَّ والمساعدةَ، ونجدُهُ يلجأُ إلى الحديثِ عَن نفسِهِ بضميرِ الغائبِ، وكأنَّ الشّاعِرَ أرادَ أن يخرُجَ مِن نفسِهِ المريضةِ أو أن يكونَ شخصًا آخرَ، وهذا نتيجةٌ للمعاناةِ القاسيةِ التي كانَ يتشرَّبُها في حياتهِ، يقولُ:

أنـــا ذاكَ الـــذي سَـــقَتهُ يـــدُ السُّقـــ ـــمِ كؤوسًـــا مِـــنَ المُـــرارِ رِواءَ
ورأيـــتُ الحِمـــامَ فـــي الصُّـــوَرِ الشُّنـــ ـــعِ وكانـــت لـــولا القضـــاءُ قضـــاءَ
ورمـــاهُ الزَّمـــانُ فـــي شُـــقَّةِ النَّفـــ ـــسِ فأَصـــمَى فـــؤادَه إصـــماءَ
وابـــتلاهُ بالعُســـرِ فـــي ذاكَ والوَحـــ شـــةِ حتَّـــى أمـــلَّ منـــهُ الـــبلاءَ[2]

واعتمادًا على ما سبقَ، نرى أنَّ ابنَ الروميِّ يجزعُ مِنَ المرضِ جزعًا شديدًا؛ لأنَّهُ مرتبطٌ بفكرةِ الموتِ في ذهنِهِ، فبدت صورتهُ جليَّةً في أثناءِ حديثِهِ عَن ذاتِهِ المريضةِ، وعَن مُجرياتِ الأحداثِ المريرةِ التي انهالت عليهِ وتوالت، وشكَّلت لديهِ أمراضًا مزمنةً.

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 1382/4.

[2] نفسه: 91/1.

المَبحَثُ الثّالث

الزَمَن

لا غرابةَ في كونِ الزَّمانِ قد شكَّلَ ملمحًا مِن ملامحِ الموتِ في حياةِ ابنِ الروميِّ، فوفقًا لما قدَّمهُ الباحثُ مِن تحليلٍ لشعرِهِ وحياتِهِ وارتباطِهِ بالموتِ، كانَ مِنَ المنطقيِّ أن يكونَ الزَّمانُ رافدًا واسعًا يصبُّ في فكرةِ الموتِ التي سيطرت عليهِ، ذلكَ أنَّ حياةَ الإنسانِ تسيرُ مِن بدايتِها وحتّى نهايتِها على خطٍّ زمنيٍّ يوصلهُ في نهايةِ المطافِ إلى قدرِهِ المحتومِ.

وابنُ الروميِّ يدركُ هذهِ الحقيقةَ جيِّدًا، ويعلمُ أنَّ العلاقَةَ عكسيَّةٌ بينَ عمرِهِ وبينَ طولِ الزَّمنِ، فكلَّما طالَ الزَّمنُ انتقصَ مِن عمرِهِ ما قُدِّرَ لهُ أن ينتقصَ منهُ، وشخصٌ مثلُ ابنِ الروميِّ الذي أسقطَ ملامحَ الموتِ على وجوهٍ كثيرةٍ لمجدِّداتِهِ ومحسوساتِهِ، اتَّخذَ مِنَ الزَّمنِ فضاءً لإكمالِ هذهِ التَّصوراتِ، وإشباعِ مظاهرِ الحياةِ بما شغلَ بالهُ.

وألفاظُ الزَّمنِ ومتعلِّقاتُهُ كثيرةٌ في شعرِهِ، إذ كشفتِ الإحصائيَّةُ التي قامَ بِها الباحثُ محمَّدُ عيسى الحورانيّ في دراستِهِ(الدَّهرُ في شعرِ ابنِ الروميِّ) عن تكرارِ كلمةِ الدَّهرِ(637) مرَّةً، والزَّمنِ(268) مرَّةً، والأبدِ(155) مرةً، والأمدِ(10) مراتٍ، والقدرِ(134)، مرّةً، والأجلِ(13) مرةً، و الليالي(52) مرةً، والأيّامِ(7) مراتٍ، والأعوامِ(3) مراتٍ، والسنينَ(8) مراتٍ[1].

وهذا شيءٌ ذو بالٍ في الدِّراسةِ، فإنَّ تكرارَ هذهِ الألفاظِ بهذهِ الكثرةِ يدلُّ على ارتباطِ نفسيَّةِ ابنِ الروميِّ بالزَّمنِ وأثرِهِ، إذ إنَّ ارتباطَ الزَّمَنِ بالمصائبِ في شعرِهِ وكثرةَ تكرارِهِ يُعطي دلالةً واضحةً على تمكُّنِ فكرةِ الزَّمنِ مِن نفسهِ، ويقولُ الحورانيُّ في هذا الصَّددِ:" فلا أظنُّ شاعرًا عربيًّا على امتدادِ مسيرةِ الشِّعرِ العربيِّ، قد تشرَّبَ شعرَ الدَّهرِ كابنِ الروميِّ، ولا أظنُّ شاعرًا حمَّلَ الدَّهرَ أوزارهُ وبثَّهُ شكواهُ، وتألَّمَ منهُ كما تألَّمَ لهُ ابنُ الروميِّ..."[2].

---

[1] ينظر: الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، دروب للنشر والتوزيع، 2016، ص61.

[2] نفسه: ص63.

ويرى الحوراني أنَّ الدَّهرَ أوسعُ مِنَ الزَّمَنِ، إذ يعدُّهُ جزءًا مِن بُنيةِ الدَّهر[1]، ولكنَّ الباحثَ يرى أنَّ فكرةَ الزَّمنِ في ذهنهِ ونفسيَّتهِ جعلتهُ لا يفرِّقُ بينهُ وبينَ متعلِّقاتهِ مِن ألفاظٍ، فهيَ على اختلافِ ألفاظِها تؤدِّي فكرةً واحدةً لا انفصالَ بينها، تصبُّ كلُّها بنفسِ القوَّةِ في بوتقةِ المصائبِ والكوارثِ، وهذا ما سيعالجُهُ الباحثُ في أثناءِ وقوفِهِ على نماذجَ مِن شعرِهِ، مستقصيًا ظلالَ الموتِ في دائرةِ الزَّمنِ.

أ- مُتَعَلِّقاتُ الزَّمَنِ:

المتتبِّعُ لشعرِ ابنِ الروميِّ يجدُ أنَّهُ كانَ طورًا يُحمِّلُ الزَّمنَ مصائِبَ الدُّنيا بشكلٍ عام، وطورًا آخرَ كانَ يفصِّلُ هذهِ المصائبَ في مقطوعاتٍ شعريَّةٍ منفردةٍ، ومِنَ المقطوعاتِ التي حمَّلَ فيها الزمنَ المصائبَ بشكلٍ عام قولهُ:

كم مِن مصائبَ كانَ الدَّهرُ أخلَقَها أضحى بكَ النّاسُ في أثوابِها الجُدُدِ
مِن بينِ باكٍ لهُ عينٌ تساعدُهُ وبينَ آخرَ مَطويٍّ على كمدِ
فَعَبرَةٌ في حُدُورٍ لا رُقُوءَ لها وزفرةٌ تملأُ الأحشاءَ في صَعَدِ[2]

ويطلعُنَا على لوحةٍ يُشخِّصُ فيها الزَّمنَ في حركةٍ مستمرَّةٍ لا تتوقفُ، فالأيّامُ تُشيِّعُ بعضها، وتعكسُ الحزنَ والأسى على الإنسانِ، وتسرقُ أيّامَ شبابهِ ومُلحِها، وتقتصُّ مِن عُمرِهِ الفاني، وتقرِّبهُ مِنَ الموتِ أكثر، يقولُ:

دهرٌ يُشَيِّعُ سَبتَهُ أحَدُه متتابعٌ ما ينقضي أمَدُه
والحالُ مِن سعدٍ يُساعِدُنا طورًا ونحسٍ مُعقَبٍ نكدُه
يومٌ يبكِّينا وآونةً يومٌ يبكِّينا عليهِ غَدُه
نبكي على زمنٍ ومِن زمنٍ فبكاؤُنا موصولةٌ مُدَدُه
ونرى مكارِهَنا مخلَّدةً والعمرُ يذهبُ فانيًا عَدَدُه[3]

---

[1] ينظر: الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، دروب للنشر والتوزيع، 2016، ص63.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 633/2.

[3] نفسه: 660/2.

والنّاظرُ في المقطوعةِ السّابقةِ يعي أثرَ الزَّمنِ وتقلُّبِهِ على الشّاعرِ، وذلكَ في كثرةِ الألفاظِ المتعلِّقةِ بالزَّمنِ والموتِ التي تتمثَّلُ في: (دهر، سبته، أحده، أمده، طورًا، معقب، يوم، آونة، غده، زمن، مدده، مخلدة، العمر، فانيًا، يشيع، ينقضي، تبكينا، نبكي، يذهب...)[1]، كلُّ هذهِ الألفاظِ أعطت مدلولًا قويًا على فاعليَّةِ الزَّمنِ بالشّاعرِ وأثرِهِ فيه.

ويتداخلُ الزَّمنُ والموتُ معًا في قصيدةٍ يعزِّي فيها عبيدَ اللهِ عَن والدتِهِ، ويأتي فيها على ذكرِ الزَّمنِ وفجائعِهِ التي تصيبُ الإنسانَ؛ "فكلٌّ حيٍّ تتقلَّبُ بهِ الحدثانُ مِن ليلٍ ونهارٍ. وتسيرُ بهِ إلى نهايةٍ واحدةٍ، ينالها الأحياءُ ألا وهيَ الموتُ مهما كانَ العزُّ وكيفما كانتِ المنعةُ"[2]، يقولُ في بعضها:

عـــزاؤكَ أنَّ الـــدَّهرَ ذو فَجعـــاتِ وكـــلُّ جميـــعِ صـــائرٌ لشَـــتاتِ
هـــلِ النّـــاسُ إلا معشـــرٌ مِـــن ســـلالةٍ تعـــودُ رُفاتًـــا ثَـــمَّ أيَّ رفـــاتِ
ميـــاهٌ مَهينـــاتٌ يـــؤولُ مآلُهـــا إلـــى رِمَـــمٍ مِـــن أعظُـــمٍ نَخِـــراتِ
أرى الـــدَّهرَ ظَهـــرًا لا يـــزالُ براكـــبٍ وإن زلَّ لـــم يُـــؤمن مِـــنَ العثـــراتِ
ومِـــن عجـــبٍ أن كلَّمـــا جـــدَّ ركضُـــنا عليـــهِ تباعـــدنا مِـــنَ الطَّلبـــاتِ
وأعجـــبُ منـــهُ حرصُـــنا كلَّمـــا خلـــت ســـنونًا كأنّـــا مِـــن بنـــي العشـــراتِ
نُخلِّـــف مأمولاتنـــا وكأنَّنـــا نســـيرُ إليهـــا لا إلـــى الغَمـــراتِ
غُررنـــا وأُنـــذرنا بـــدهرٍ أَملَّنـــا غُـــرورًا وإنـــذارًا بهـــاكَ وهـــاتِ
إذا مَـــجَّ مجـــاتٍ مِـــنَ الأَرِي أَعقبـــت بأقصـــى ســـهامٍ فـــي أحـــدِّ حُمـــاتِ[3]

والمطَّلعُ على القصيدةِ كاملةً[4]، يجدُ ألفاظَ الموتِ المتداخلةَ معَ الزَّمنِ منتشرةً في جميعِ جوانبِها، ومنها: (عزاؤكَ، فجعاتُ، شتاتُ، رفاتُ، رممٌ، أعظمٌ نخراتُ، العثراتُ، الغمراتُ، سهامٌ، حماتُ، الخطبُ، سطواتُ، الرَّزايا، نقماتُ، فجعتُ، فجيعةٌ، يفجعُ، أصبتُ، أصيبَ، نكبةٌ، النَّكباتُ، مصيبةٌ، وقعاتُ، فقدٌ، مماتُ، غاراتُ الخطوبِ، حتوفهم...)، وهذا في الأسلوبيةِ عمادُ

---

(1) ينظر: الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، ص256.

(2) المطرفي، حمد محمد خضر: **الدهر في ديوان الهذليين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 2015، ص28.

(3) ابن الرومي: **الديوان**، 374/1.

(4) ينظر قصيدة ابن الرومي في تعزيته عبيد الله بن عبد الله عن والدته: **الديوان**، ص374-377.

البحثِ، فإنَّ تكرارَ هاتينِ الفكرتينِ (الزَّمنُ/ الموتُ) لم يجئ عفوَ الخاطرِ، وإنَّما العقلُ الباطنُ للشّاعرِ يُملي عليهِ هذهِ الألفاظَ بهذا التّكرارِ الفائضِ، وهذا كلُّهُ يصبُّ في نفسيَّتهِ المذعورةِ مِنَ الموتِ.

وأمّا عن تفصيلِهِ مصائبَ الزَّمنِ، فقد آثرَ الباحثُ تقسيمَها إلى الجزئياتِ الآتيةِ:

1. الزَّمَنُ الظّالِمُ:

كانَ ابنُ الروميِّ ناقمًا على الزَّمنِ، نتيجةَ الظُّلمِ والواقعِ المريرِ الذي عاشهُ في مجتمعِهِ، هذا الزَّمنُ الذي يُعطي قيمةً لمَن لا يستحقُّ، وبالمقابلِ ينظرُ إلى الشُّرفاءِ نظرةَ ازدراءٍ وتحقيرٍ، فهوَ يراهُ كالبحرِ الذي تترسَّبُ في قاعهِ الدُّررُ والجواهرُ، وتعلو سطحهُ الأوساخَ، يقولُ:

دهــــرٌ عـــــلا قـــــدرُ الوضـــــيعِ بـــــهِ وهـــــوى الشَّـــــريفُ يحطُّـــــهُ شـــــرفُه
كـــــالبحرِ يرســـــبُ فيـــــهِ لؤلـــــؤهُ سِـــــفلًا وتطفـــــو فوقـــــهُ جِيَفُـــــه[1]

ويقولُ:

رأيـــتُ الـــدَّهرَ يرفـــعُ كـــلَّ وغـــدٍ ويخفـــضُ كـــلَّ ذي شِـــيمَ شـــريفَه
كمثـــلِ البحـــرِ يغـــرقُ فيـــهِ حـــيٌّ ولا ينفـــكُّ تطفـــو فيـــهِ جيفَـــه
أو الميـــــزانِ يخفـــــضُ كـــــلَّ وافٍ ويرفـــــعُ كـــــلَّ ذي زنـــــةٍ خفيفَـــــه[2]

والزَّمنُ يُقدِّمُ الأوغادَ على الشُّرفاءِ، ويبدِّلُ مِن أفكارِ النّاسِ وطبائِعِهِم، ويلبسُهُم كساءَ الظُّلمِ والغدرِ، فيسيرونَ على خطاهُ في تفضيلِ الوُضعاءِ على أصحابِ المنزلةِ الرَّفيعةِ، يقولُ:

آتيًـــا مـــا أتـــى الزَّمـــانُ مِـــنَ الظُّلـــ ـــمِ وهاتيـــكَ منـــكَ ســـوطُ عـــذابِ
قاتَـــلَ اللَّـــهُ دهرَنـــا أو رمـــاهُ باســـتواءٍ فقـــد غـــدا ذا انقـــلابِ
يَعلِـــفُ النـــاطقينَ مِـــن جَـــورِهِ الأجـــ ـــلالَ والنـــاهقينَ محـــضَ اللُّبـــابِ
ثـــمَّ تَلقـــى الحكـــيمَ فيـــهِ يُمـــالي كـــلَّ وغـــدٍ علـــى ذوي الآدابِ

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 1571/4.

[2] نفسه: 1592/4.

جانحًـــا فـــي هـــواهُ يَحكـــمُ بالحَيـــ ـــفِ علـــى الأنبيـــاءِ للأحـــزابِ[1]

والزَّمنُ ظالمٌ؛ لأنَّهُ السَّببُ في عدمِ تعريفِهِ على أناسٍ جيِّدينَ، فقد نالَ شتّى صنوفِ العذابِ مِن أهلِ زمانِهِ، يقولُ:

وزهَّـــدني فـــي النّـــاسِ معرفتـــي بهـــم وطُـــول اختبـــاري صـــاحبًا بعـــدَ صـــاحِبِ
فلـــم تُزنِـــي الأيّـــامُ خِـــلاً يســـرُّنِي بَواديـــهِ إلا ســـاءَنِي فـــي العواقِـــبِ
ولا صِـــرتُ أدعـــوهُ لـــدفعِ ملمَّـــةٍ مِـــنَ الـــدَّهرِ إلا كـــانَ إحـــدى النَّوائِـــبِ[2]

وحتّى في رثاء أمه يُرينا الظُّلمَ الذي يسببهُ الزَّمنُ، فهوَ دائبُ الجورِ، وغشومٌ للأهلِ، ومُقسِّمُ الأسواءِ، ومعمِّمُ البلوى، ومُهدي الأسى والموتِ، لا سبيلَ للهروبِ مِن سخطِهِ، ولا طريقةَ للانتقامِ منهُ، يقولُ:

غـــدا الـــدَّهرُ لـــي خصـــمًا وفـــيَّ مُحَكَّمًـــا فكيـــفَ بخصـــمٍ ضـــالعٍ وهـــوَ الحَكَـــم
يجُـــورُ فأشـــكو جَـــورهُ وهـــوَ دائبًـــا يـــرى جَـــورهُ عـــدلًا إذا الجَـــورُ منـــهُ عـــم
عـــذيريَ مِـــن دهـــرٍ غشـــومٍ لأهلـــهِ يـــرى أنَّـــهُ إذ عـــمَّ بالغَشـــمِ ماغَشَـــم
غـــدا يَقســـمُ الأســـواءَ قَســـمَ ســـويَّةٍ وماعَـــدلُ مَـــن ســـوَّى وســـوّاءُ مـــا قسَـــم
تعُـــمُّ ببلـــواهُ يـــدٌ منـــهُ سَـــلطةٌ يصـــولُ بهـــا فـــظٌ إذا اقتَـــدَرَ اهتَضَـــم
وليســـت مِـــنَ الأيـــدي الحميـــدِ بلاؤهـــا يـــدٌ قسَّـــمَت سُـــوءًا وإن ســـوَّتِ القَسَـــم
أمـــالَ عُروشـــي ثُـــمَّ ثنَّـــى بَهـــدمِها وكـــم مِـــن عُـــروشٍ قـــد أمـــالَ وقـــد هَـــدَم
وأصـــبحَ يُهـــدي لـــيَ الأســـى متنَصِّـــلًا فمِـــن سُـــوقةٍ أردَى ومِـــن مَلِـــكٍ قصَـــم
وإنِّـــي وإن أهـــدى أُســـاهُ لســـاخِطٌ عليـــهِ ولكـــن هـــل مِـــنَ الـــدَّهرِ مُنـــتقَم[3]

وقد اتَّكأَ الشّاعرُ في بناءِ أبياتِهِ السَّابقةِ على بعضِ القضايا الأسلوبيَّةِ[4]؛ فاستخدَم الأفعالَ المضارعةَ الدَّالةَ على استمراريَّةِ فعلِ الزَّمنِ بالإنسانِ، وهيَ(يجورُ، أشكو، يقسمُ، تعمُّ، يصولُ، يُهدي)، ولجأَ إلى تكرارِ بعضِ الكلماتِ وتقلُّباتِها بشكلٍ لافتٍ في أبياتِهِ، وتتمثَّلُ في (خصمًا/بخصمٍ، يجورُ/ جَورَه / الجَورُ، غشومٌ/ بالغشمِ/ ما غشم، يقسمُ/ قسمَ/ قسَم، قسَّمَت/

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 286/1.

(2) نفسه، 353/1.

(3) ابن الرومي: **الديوان**، 2301/6، 2302.

(4) ينظر: الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، ص237.

سَوَّاءٌ، سُوءًا/ أمالَ عُروشي، وكم مِن عُروشٍ قد أمالَ/ يَهدِي، أَهدَى)، وهذا البناءُ الذي شيَّدَهُ في أبياتهِ أعطى مدلولًا قويًّا على ظُلمِ الزَّمَنِ وأثَرِهِ على نَفسِهِ.

2. الزَّمَنُ مُفَرِّقُ الأَحِبَّةِ:

وابنُ الروميِّ بطبيعتِهِ، "يستشعرُ حرقةَ الفراقِ، ولوعةَ المفارِقِ، فانبرى صوتُهُ عميقًا بأسى، لفقدِ الأحبَّةِ"[1]، وحمَّلَ الزَّمنَ مسؤوليةَ تفريقهم وإبعادهم عنهُ، يقولُ:

ولمّا رأيتُ الدَّهرَ يؤذنُ صرفُهُ بتفريقِ ما بيني وبينَ الحبائِبِ
رجعتُ إلى نفسِي فوطَّنتُها على ركوبِ جميلِ الصَّبرِ عندَ النَّوائِبِ[2]

وفراقُ الأحبَّةِ يجعلُ زمانَهُ موصولًا بالنَّحيبِ والحزنِ الشَّديدِ، والمرضِ الذي يأكلُ قلبهُ، فيعجزُ الأطباءُ عَن مُداواتِهِ، يقولُ:

تحكَّمَتِ الأيّامُ في ذاتِ بيننا فقلَّلنَ منهُ بالفِراقِ نصيبِي
ولي عَبرةٌ موصولةٌ بنحيبِ ونفسٌ عليهِ الدَّهرَ ذاتُ وجيبِ
وقلبٌ نأى عنهُ السُّلُوُّ فسُقمُهُ طويلٌ قَدَ اَعيا طبَّ كلِّ طبيبِ[3]

والزَّمنُ فجعَ أهلَهُ، وفرَّقَ شملهم، وغيرَ حالهم مِن فرحٍ إلى حُزنٍ، يقولُ:

إذ الوصالُ بوصلِ الدَّهرِ مُتَّصِلٌ مُستحصِدٌ حبلُهُ والهجرُ مهجورُ
نُمسي ونصبحُ لا واشٍ يطيفُ بِنا ولا رقيبٌ خفيُّ اللحظِ محذورُ
والشَّملُ مؤتلفٌ والدَّارُ جامعةٌ منّا ورَبعُ الهَوى واللَهوِ معمورُ
حتَّى رمتنا صُروفُ الدَّهرِ قاصدةً بِفُرقةٍ حينَ خانتنا المقاديرُ(4)

ويقولُ:

خانكَ الدَّهرُ أسوةَ النّاسِ، كلا بل وَفَى إنَّ ما تَرى منهُ شرطُ
شَرَطَ الدَّهرُ فَجعَ كلِّ مُحبٍّ وهوَ فظٌّ على المحبِّينَ سَلطُ[5]

---

[1] الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، ص121.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 352/1.

[3] نفسه، 333/1.

[4] نفسه، 1106/3.

[5] نفسه، 1430/4.

والزَّمنُ فرَّقَ أهلَهُ، فهوَ "يتبدَّى شخصًا ظالمًا قاسيًا يتَّخِذُ مِن خُصومَةِ ابنِ الروميِّ سبيلًا، فهوَ خصمٌ ضالعٌ في الخصومةِ، لا يكتفي بقتلِ مَن يحبُّهم الشّاعرُ، بل يهدِّدُ حياتَهُ نفسهُ"[1]، فنراهُ يثورُ غاضبًا على الزَّمنِ الذي سلبَ منهُ أغلى ما يملكُ في حياتِهِ، ويحمِّلُهُ ذنبَ موتهم والخطوبَ التي ألمَّت بهم، يقولُ في رثاءِ ابنهِ هبة اللهِ:

كـــــم مِنَّـــــةٍ للـــــدَّهرِ كـــــدَّرها ... لـــم تصـــفُ منـــهُ ولا لـــهُ المِـــننُ
مـــــازالَ يكســـــونا ويســـــلبنا ... حتَّـــى نظـــلَّ وشُـــكرنا إحَـــنُ[2]

وللزَّمنِ يدٌ في موتِ خالِهِ، وهو سببٌ في بثِّ الكوارثِ والمصائبِ، فهوَ يستلذُّ في خطفِ الأحبَّةِ وسرقتهم، كما يستلذُّ الجاني في سرقةِ أطيبِ الثِّمارِ، ولا يهتمُّ بعويلِهِم وصراخِهِم، ولا يحزنُ إن تخطَّفَت يدُ المَنونِ كبيرًا كانَ أو صغيرًا، يقولُ:

ألاَ تَعِـــسَ الـــدَّهرُ المُفـــرِّق بيننـــا ... وإن كـــانَ كـــلٌّ عـــاثرًا بعِثـــارِهِ
ألـــحَّ علينـــا مولَعًـــا بسَـــراتنا ... كمـــا أَولـــعَ الجـــاني بخيـــرِ ثِمـــارِهِ
أرى الـــدَّهرَ لا يـــأوي لعولـــةِ مُعـــوِلٍ ... ولا يَرعـــوي للصَّـــوتِ عنـــدَ انســـماره
يصـــولُ فـــلا يرثـــي لثُكـــلِ كبيـــرةٍ ... ولا يُـــتمِ طفـــلٍ يـــا لَسُـــوءِ اقتـــدارِهِ[3]

وقد وصلت يدُ الزَّمَنِ وفاعليَّتِهِ إلى أمِّهِ، فرثاها بقصيدةٍ، تقومُ معظمُ أبياتِها على ثنائيَّةِ الزَّمنِ والموتِ، وهما وجهانِ لعملةٍ واحدةٍ، يشتركانِ في الأفعالِ نفسِها، ويتبادلانِ المواقعَ في إهلاكِ الإنسانِ، يقولُ:

ألا كـــم أذلَّ الـــدَّهرُ مِـــن متعـــزِّزٍ ... وكَـــم زمَّ مِـــن أنـــفٍ حَمـــيٍّ وكـــم خطـــم
وكـــم ســـاورَ العقبـــانَ فـــي اللـــؤمِ صـــرفُهُ ... وكـــم غـــاوصَ الحيتـــانَ فـــي زاخـــرِ الحُـــوَم
وكـــم ظلـــمَ الظِّلمـــانَ حـــق صـــاحِها ... ومثـــلُ خصـــيم الـــدَّهرِ أذعـــنَ واظَّلـــم
وكـــم غلبـــت غَلـــبَ القُيـــولِ هناتُـــهُ ... ولـــم تُقتَـــبَس مِـــن قبـــلِ ذاكَ ولـــم تُـــرَم
وكـــم نَهـــشَ الحيَّـــاتِ فـــي هضـــباتِها ... وكـــم فَـــرَسَ الأُســـدَ الخـــوادِرَ فـــي الأجـــم[4]

---

[1] الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، ص236.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 2515/6.

[3] نفسه، 1133/3.

[4] الخوادر: خِدرُ الأَسدِ: أَجَمَتُه .وخَدَرَ الأَسدُ خُدُورًا وأَخدَرَ: لزم خِدرَه وأَقام، وأَخدَرَه عَرِينُه: واراه. والمُخدِرُ: الذي اتخذ الأَجَمَةَ خُدرًا. ينظر: **لسان العرب**، مادة خدر.

وكـــم أدركَ الـــوحشَ التـــي لـــجَّ نَفرُهـــا يغُـــورُ لهـــا طَـــورًا ويطَّلـــعُ الأكـــم
وكـــم قعـــصَ الأبطـــالَ إمَّـــا شـــجاعةً وإمّـــا بمقـــدارٍ إذا اضـــطَرَّهُ اقـــتحم
وكـــم صـــالَ بـــالأملاكِ وســـطَ جنودِهـــا وأخنَـــى علـــى أهـــلِ النُّبـــوَّاتِ والحِكـــم
وكـــم نعمـــةٍ أذوى، وكـــم غبطـــةٍ طـــوَى وكـــم سَـــنَدٍ أهـــوى وكـــم عُـــروةٍ فصـــم
وكـــم هـــدَّ مِـــن طَـــودٍ مُنيـــفٍ عانَـــهُ وكـم قـضَّ مِـن قَصـرٍ مُنيـفٍ وكـم وكـم[1]

وابنُ الروميِّ في رثاءِ أمِّهِ نراهُ ينسبُ للزَّمنِ أفعالَ الموتِ، ويأتي على كمِّ التكثيريَّةِ الخبريَّةِ[2] التي تعطي مدلولًا قويًّا على الحالةِ النَّفسيَّةِ السَّيئةِ التي يعيشُها الشّاعرُ جرّاءَ الطَّعناتِ التي تلقّاها مِنَ الزَّمَنِ، وقد كرَّرَ كم عشرينَ مرَّة، وربطها بالزَّمنِ وفاعليَّتِهِ على الإنسانِ والحيوانِ والجمادِ، وكأنَّنا في الأبياتِ السّابقةِ نرى مشهدًا دراميًا مأساويًّا يخرجهُ الشّاعرُ في صورةِ الزَّمَنِ (الموت)، الذي يلاحقُ كلَّ الموجوداتِ على الأرضِ مِن إنسانٍ وحيوانٍ وجمادٍ، وينتصرُ عليهم، ولا يبقي قويًّا ولا ضعيفًا.

ويأتي على الزَّمنِ الذي فرَّقَ بينهُ وبينَ أخيهِ، ويراهُ مُقرِّبًا لقاءَهُ، يقولُ:

وتُســـــلينيَ الأيـــــامُ لا أنَّ لـــــوعتي ولا حَزَنـــي كالشـــيءِ يُنســـى فَيَعـــزُبُ
ولكـــــن كَفـــــاني مُســـــليًا ومُعزِّيًـــــا بـــأن المـــدى بينـــي وبينـــك يقـــربُ[3]

3. الزَّمَنُ المُفترِسُ:

تشكَّلَ في مِخيالِ ابنِ الروميِّ رؤيةً جليَّةً للزَّمَنِ المفترسِ، تنضحُ بالمرارةِ وتزخرُ بقوانينِ الفناءِ، قدَّمها في أبياتٍ شعريَّةٍ مختلفةٍ، أحسنَ بناءَها وتركيبَها، وقدَّمَ صورًا دالةً على وحشيَّةِ الزَّمنِ، فرسمَ لهُ أنيابًا ومخالبَ يستعينُ بها في أثناءِ صِراعهِ معَ الكائناتِ الموجودةِ على الأرضِ، وينتصرُ عليها جميعها، يقولُ:

لقـــــد أنشـــــبت حادثـــــاتُ الزَّمـــــانِ مخالبَهـــــا بـــــي وأنيابَهـــــا[4]

([1]) ابن الرومي: **الديوان**، 2303/6، 2304.

([2]) ينظر: الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، ص243.

([3]) ابن الرومي: **الديوان**، 160/1.

([4]) نفسه، 331/1.

ويقولُ:

بَلَــى عجــبٌ أنَّــي جَزعــت ولــم أكــن جَزوعًــا إذا مــا عضَّــهُ الــدَّهرُ أَخَّخــا[1]

ويطلعُنا على صراعِ الزَّمنِ معَ البشريّةِ كافةً، ويصوِّرهُ بالأسَدِ المفترس، الذي لا يلتفتُ لقويٍّ أو ضعيفٍ، فمهمَّتهُ الانقضاضُ على النّاسِ وإهلاكُهُم جميعًا، يقولُ:

الــدَّهرُ كالليــثِ فَــرَّاسٌ ونحــنُ لــهُ فــرائسُ لــيسَ فيهــا غيــر مفــروسِ
ومــا قــويٌّ علمنــاهُ بمحتــرِسٍ ولا ضــعيفٌ رأينــاهُ بمحــروسِ
إذا سَــعى لهــلاكِ النّــاسِ لــم تــرَهُ يخشــى رئيسًــا ولا يــأوى لمــرؤوسِ[2]

وصيغة المبالغةِ (فرَّاس) التي أتى عليها الشّاعرُ وألصقها بالزَّمنِ أعطت مدلولًا واضحًا على كثرةِ المصائبِ والكوارثِ التي تلقّفها منهُ وأسقطَها على نفسيَّتهِ الوجلةِ منَ الموتِ، وأجادَ أيضًا في استخدامِ الطِّباقِ في قولِهِ (قويٌّ، ضعيفٌ)؛ ليؤكِّدَ أنَّ (الزَّمنَ/ الموتَ) لا يخشى قويًّا ولا ضعيفًا، فكلُّهم واقعونَ في شباكِهِ.

ويرينا ابنُ الروميِّ في رثاءِ أمِّهِ بشاعةَ الزَّمنِ المفترسِ الذي نَهَشَ الحيّاتِ، وانقضَّ على الأُسدِ الخوادرِ، التي هيَ أقوى الحيواناتِ على الأرضِ، صارعَها وتغلَّبَ عليها، ثمَّ أتى على الحيواناتِ كلِّها، وتخطَّفَها واحدةً تلوَ الأخرى، يقولُ:

وكــم نَهــشَ الحيّــاتِ فــي هضــباتِها وكــم فــرَسَ الأُســدَ الخــوادِرَ فــي الأجــم
وكــم أدركَ الــوحشَ التــي لــجَّ نَفرُهــا يغُــورُ لهــا طَــورًا ويطَّلــعُ الأكــم[3]

وينقلُنا إلى مشهدِ الأفعى السّامَّةِ التي جعلَها معادلًا للزَّمنِ الذي نفثَ سمَّهُ بالإنسانِ، وجلبَ الموتَ لهُ، يقولُ:

وكلَّــحَ الــدَّهرُ مِــن نابيــهِ عَــن عَضَــلٍ فيــهِ المنايــا و مِــن شِــدقيهِ عَــن هَــرَتِ[4]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 574/2.
[2] نفسه، 1227/3.
[3] نفسه، 6/ 2303.
[4] نفسه، 370/1.

والزَّمَنُ المفترسُ يأتي على الإنسانِ دونَ سابقِ إنذارٍ، فها هيَ الليالي والأيّامُ قد أفصحت عَن مكنوناتِها وأسرارِها، وأخبرتنا أنَّنا فرائسُ واقعونَ في شباكِها، يقولُ:

إنَّ الليـــــاليَ والأيّـــــامَ قـــــد كَشَـــــفَت مِـــــن كَيـــدِها كـــلَّ مســـترٍ ومكنـــونِ
وخَبَّرتنـــــا بأنّـــــا مِـــــن فرائسِـــــها نواطقًـــــا بفصـــــيحِ غيـــــرِ مَلحـــــونِ
واستَشـــهَدَت مَـــن مَضَـــى منّـــا فأنبأنـــا عَـــن ذاكَ كـــلّ لقـــىً منّـــا ومـــدفونِ
مِـــن هالـــكٍ وقتيـــلٍ بـــينَ معتـــبطٍ وبـــينَ فـــانٍ بِتَـــركِ الـــدَّهرِ مَطحـــونِ[1]

والنّاظرُ في الأبياتِ السّابقةِ يرى التَّداخلَ الكبيرَ بينَ ألفاظِ الموتِ التي يسبِّبُها الزَّمَنُ، ومنها: (فرائسُ ومدفونٌ وهالكٌ وقتيلٌ وفانٍ ومطحونٌ)، وهذا الاستخدامُ ليسَ عبثًا، وإنَّما لا وعي الشّاعرِ أملى عليهِ مثلَ هذهِ الألفاظِ الدّالةِ عَلى خوفِهِ العميقِ مِنَ الزَّمَنِ الذي بدا معادلًا موضوعيًّا للموتِ.

4. الزَّمَنُ الخائِنُ والماكِرُ:

أطلقَ ابنُ الروميِّ على الزَّمنِ صفاتٍ مشابهةً لصفاتِ الإنسانِ، فهوَ يتَّسِمُ بالخيانةِ والمكرِ والغدرِ، ولذلكَ فإنَّ الشّاعِرَ لا يأمنُ هذا الزَّمنَ الخؤونَ، المستمرَّ في بثِّ الكوارثِ والمصائبِ، إذ إنَّهُ يخونُ الإنسانَ الذي يُنفقُ الأيّامَ دونَ أن يعلمَ أنَّهُ يُنفقُ بذلكَ حياتَهُ، ويقتربُ نحوَ الموتِ، يقولُ:

لا خيـــــرَ فـــــي عـــــيشٍ تَخَوَّنُنـــــا أوقاتُـــــهُ وتَغولنـــــا مُـــــدَدُه
يُعطَـــــى الفتَـــــى الأيّـــــامَ يُنفقُهـــــا وقصاصُـــــها أن يُقتـــــرى جَلـــــدُه
مَـــــن أُقـــــرِضَ الأوقـــــاتَ أتلفهـــــا وقضـــــى جميـــــعَ قروضِـــــها جَسَـــــدُه
حتَّـــــى يُغَيَّـــــبَ فـــــي مُطَمطَمـــــةٍ لا أهلُـــــهُ فيهـــــا ولا ولَـــــدُه[2]

وقد نظرَ الشّاعرُ إلى الزَّمانِ على أنَّهُ غادرٌ، فأعدَّ لهُ ما يقيهِ من غدرِهِ، ولكنَّ العدَّةَ التي أعدَّها غدرتهُ أيضًا، يقولُ:

خـــانَ الزَّمـــانُ فأعـــددتُ الكـــرامَ لـــهُ فمَـــن أُعِـــدُّ إذا مـــا خانـــتِ العُـــدَدُ[3]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 2463/6.
[2] نفسه، 661/2.
[3] نفسه، 687/2.

ويرى أنَّ الزَّمنَ يغدرُ بالإنسانِ فينجزُ وعدهُ في إماتةِ النَّاسِ، يقولُ:

سَيَسقي بني الدُّنيا كؤوسُ حتوفِهم إلى أن ناموا لا منامَ سُباتِ
وفاءٌ مِنَ الأيّامِ لا شكَّ غدرُها وهل هُنَّ إلا مُنجزاتُ عِداتِ[1]

ويقولُ:

مكرُ الزَّمانِ علينا غيرُ مأمونِ فلا تظنَّنَّ ظنًّا غيرَ مَظنونِ
بل المخوفُ علينا مَكرُ أنفُسِنا ذاتِ المُنَى دونَ مَكرِ البيضِ والجُونِ[2]

5. الزَّمَنُ العابِثُ:

ويرى ابنُ الروميِّ في الزَّمنِ عبثيةً لاذعةً، فيجعلُ مِنَ المتناقضاتِ أمورًا متشابهةً، بل متطابقةً، فالسَّليمُ كالمنكوبِ، والممنوحُ كالمسلوبِ، والمحبوبُ كالمكروهِ، والمأمونُ كالمحذورِ، والغالبُ كالمغلوبِ، كلُّهم واقعونَ في شباكِ الموتِ، يقولُ:

سليمُ الزَّمانِ كمنكوبِهِ وموفورُهُ مثلُ محروبِهِ
وممنوحُهُ مثلُ ممنوعِهِ ومكسوُّهُ مثلُ مسلوبِهِ
ومحبوبُهُ رَهنُ مكروهِهِ ومكروهُهُ رهنُ محبوبِهِ
ومأمونُهُ تحتَ محذورِهِ ومرجوُّهُ تحتَ مرهوبِهِ
وريبُ الزَّمانِ غدًا كائنٌ وغالبُهُ مثلُ مغلوبِهِ[3]

ويرى في الزَّمنِ عبثهُ لبني البشرِ، فهوَ يُعطي ثمَّ يسلبُ ما أعطى، ويُضحكُ ثم يُبكي، وحقيقةُ الأمرِ أنَّ هذا ليسَ عبثًا، بل هوَ حالُ الدُّنيا، ولكنَّ نقمةَ ابنِ الروميِّ على الزَّمنِ جعلتهُ يرى في ذلكَ عبثيَّةَ الزَّمنِ، يقولُ:

برحًا لهذا الزَّمانِ يُلبسُنا سِربالَ نَعماءَ ثمَّ يَستَلِبُه[4]

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 375/1.
(2) نفسه، 2462/6.
(3) نفسه،264/1-265.
(4) نفسه، 300/1.

ويرى أنَّ الزَّمانَ يعبثُ بالإنسانِ فيسرقُ منهُ ما يعزُّ عليهِ، ويردُّهُ إلى الشَّيخوخةِ بعدَ أن سلبَ شبابهُ، يقولُ:

لا تَحسَبَنَّ الزَّمانُ ينسئكَ القرضَ ولكنَّهُ يدًا بيَدِ
يعطيكَ يومًا فيقتضيكَ بهِ مَريرةً مِن مرائِرِ الجسَدِ
يَستَرِقُ الشَّيء مِن قُواكَ وإن كانَ خفيًا عَن أعينِ الرَصَدِ
حالًا فحالًا حتَّى يَرُدَّكَ للـ ـكِبرةِ بعدَ الشَّبابِ والغَيَدِ[1]

ب-التَّخَلُّصُ مِنَ الزَّمَنِ:

كانت تجربةُ الشّاعرِ مَعَ الموتِ زمنيًّا واضحةً، فقد رأى فيهِ مصيرَهُ المتناهي، ورأى أنَّ الزَّمنَ يسيرُ عكسَ اتِّجاهِهِ، لذلكَ حاولَ الانفلاتَ منهُ بكلِّ ما أوتِيَ مِن قوَّةٍ، فنراهُ لا ينفكُّ عَن ممدوحهِ في التوسُّلِ والشَّكوى مِنَ الزَّمنِ، طالبًا النَّجاةَ مِن ظُلمِهِ وجبروتِهِ، يقولُ:

لا تسلمنِّي إلى الزَّمانِ وقد أنقذتَنِي منهُ أيَّما نَقَذِ[2]

ويرى ابنُ الرومي أنَّ الممدوحَ قادرٌ على تخليصهِ من صروفِ الزمن ونوائبهِ، فهو مصلحٌ لما أفسدهُ، ومجبرٌ لما كسرهُ، يقولُ:

ما زلتَ ضدَّ الزَّمانِ تُصلِحُ ما يُفسِدُ مُذ كُنتَ مِن بنِي العشرِ
تُجبرُ ما تُكسِرُ الحوادثُ فالـ ـكَسرُ عليها وأنتَ لِلجبرِ[3]

ويكررُ الفكرةَ السّابقةَ ويقولُ:

وكم يدٍ قبلها جبرتَ بِها عظمِي، وكانَ الزَّمانُ قد كسره[4]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 641/2.

[2] نفسه، 815/2.

[3] نفسه، 1082/3.

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 995/3.

ويقولُ أيضًا متوسِّلًا إلى الممدوحِ، شاكيًا إليهِ نوائبَ الزَّمنِ؛ ليخلِّصَهُ مِنها:

يـــا واحـــدَ النّـــاسِ فـــي الالاءِ والمِـــنَنِ والمســـتجارُ بـــهِ مِـــن نَوبَـــةِ الـــزَّمَنِ[1]

والخطوبُ التي تلقّفها منَ الزَّمنِ كثيرةٌ وعظيمةٌ، وصلت بهِ إلى مناجاةِ الممدوحِ والتَّوسلِ إليهِ، لعلَّهُ يطفئُ لهيبَ الزَّمنِ المشتعلِ بداخلهِ، يقولُ:

أشـــكو إليـــكَ خطوبًـــا قـــد بَعِلـــتُ بِهـــا لـــم تتـــرك ســـبدًا عنـــدِي ولا لبـــدا[2]
وأنـــــتَ أذكرتنيهـــــا حـــــينَ أذهلنِـــــي دهـــــرٌ أكابـــــدُ منـــــهُ صـــــاحبًا نكـــــدا
وقـــد وَعَـــدتَ بِفكِّـــي مِـــن شـــدائِدِهِ وعـــدًا فـــأنجزَ حـــرُّ القـــومِ مـــا وعـــدا[3]

ويدعو ابنُ الروميِّ إلى الهروبِ مِنَ الزَّمنِ، فهوَ مرضٌ أحكمَ سيطرتَه عليهِ ونغَّصَ عيشتَهُ وأفسدَها، لذلكَ يبحثُ عن دواءٍ يخلِّصه من همومهِ، فينخرطُ معَ ملذَّاتِ الحياةِ التي هيَ دواءٌ للقلبِ وراحةٌ للنفسِ، يقولُ:

خَـــلِّ الزَّمـــانَ إذا تَقـــاعَسَ أو نَجَـــح واشـــكُ الهمـــومَ إلـــى المُدامـــةِ والقـــدَح
احفـــظ فـــؤادَكَ إن شَـــربتَ ثلاثـــةً واحـــذَر عليـــهِ أن يطِيـــرَ مِـــنَ الفـــرح
هـــــذا دواءٌ للهُمُـــــومِ مُجَـــــرَّبٌ فاســـمَع نصـــيحَةَ حـــازِمٍ لـــكَ قـــد نَصَـــح
ودعِ الزَّمـــانَ فكَـــم نصـــيحٍ حـــازِمٍ قـــد رامَ إصـــلاحَ الزَّمـــانِ فمـــا صَـــلَح[4]

وفي نهايةِ الأمرِ، فإنَّهُ لا سبيلَ لابنِ الروميِّ في التخلُّص مِن ظُلمِ الزَّمنِ وجبروتِهِ سِوى التوجُّهِ والتضرُّعِ إلى اللهِ؛ لينصفَهُ مِن هذا الظُّلمِ الذي وصلَ مُنتهاهُ في التَّمادِي، يقولُ:

رَبِّ أنصـــــفنِي مِـــــنَ الـــــدَّهرِ فمـــــا لـــــيَ إلا بِـــــكَ منـــــهُ مُنتَصِـــــف
فاســـتجب يـــاربِّ، وارحـــم دعـــوةً مِـــن لهيـــفِ القلـــبِ، ذي دمـــعٍ ذَرِف
وأَدِلنـــــا مِـــــن زمـــــانٍ جـــــائِرٍ واســـــمَعَن يـــــاربِّ منّـــــا وانتصِـــــف

---

[1] نفسه، 2442/6.

[2] السبد: الوبر، وقيل الشَعَر، واللبد: الصوف، وقال الأَصمعي: ما له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ أي ما له قليل ولا كثير، ينظر: **لسان العرب**، مادّتي (سبد، لبد).

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 647/2.

[4] نفسه، 568/2.

مِـــــن غَشُـــــومٍ كلَّمـــــا لنـــــا لَـــــهُ زادَ بغيًـــــا وتمـــــادَى فـــــي العُنـــــف[1]

وهكذا نظرَ ابنُ الروميِّ إلى الزَّمنِ، وهيَ نظرةٌ سوداويَّةٌ قاتمةٌ، ما أفضَى بهِ في النِّهايةِ إلى محاولَةِ الهُروبِ منهُ.

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 1575/4، 1576.

الخاتِمَةُ:

وعَودٌ عَلى بِدءٍ، فَإِنَّ الباحِثَ قَد تَوَصَّلَ في دِراسَتِهِ هذِهِ إِلى مَجموعَةٍ مِنَ النَّتائِجِ يُجمِلُها في الآتي:

1- أَحَبَّ ابنُ الرّومِيِّ الحَياةَ حبًّا جمًّا، وأسقَطَ حُبَّهُ لَها عَلى مَظاهِرِها مِن شَبابٍ، وطَبيعَةٍ، وحَياةٍ ماجِنَةٍ، وقَدَّمَ رُؤيَتَهُ تُجاهَ مَظاهِرِها.

2- عَلى الرَّغمِ مِن حُبِّ ابنِ الرّومِيِّ الشَّديدِ لِلحَياةِ، فإِنَّهُ في بَعضِ الحالاتِ كانَ يَذُمُّها، ولكِنَّ هذا الذَّمَّ لَم يَكُن ناجِمًا عَنِ الحَياةِ نَفسِها، بَل عَنِ الأَحياءِ في كَنَفِها، الَّذينَ كَدَّروا عَيشَهُ، فلَم يَنَل حَظَّهُ فيها.

3- كانَ ابنُ الرّومِيِّ مُتَناقِضًا في مَذهَبِهِ مُضطَرِبًا، فتارَةً كانَ يَأخُذُ بِمَذهَبِ الشّيعَةِ، وتارَةً أُخرى بِمَذهَبِ المُعتَزِلَةِ، وطَورًا كانَ يَنتَقِدُ الإِسلامَ، ويُفَضِّلُ عَلَيهِ مَذهَبَ الفُرسِ، وطَورًا كانَ يَصدَحُ بِإِيمانِهِ العَميقِ، وهذا الاضطِرابُ ناجِمٌ عَن تَقَلُّباتٍ في حَياتِهِ.

4- نَظَرًا لِتَمَسُّكِ ابنِ الرّومِيِّ بِالحَياةِ، فإِنَّهُ في المُقابِلِ نَفَرَ مِنَ المَوتِ وازدَراهُ، وفي حَديثِهِ عَن حَتمِيَّةِ المَوتِ نَجِدُهُ يَلجَأُ إِلى الدّينِ واستِخدامِ التَّناصاتِ القُرآنِيَّةِ والاعتِقادِيَّةِ.

5- كَما أَسقَطَ ابنُ الرّومِيِّ رُؤيَتَهُ عَلى حُبِّ الحَياةِ ومَظاهِرِها؛ مِن طَبيعَةٍ، وشَبابٍ، وحَياةٍ ماجِنَةٍ، فإِنَّهُ كَذلِكَ أَسقَطَ رُؤيَتَهُ عَلى قَلَقِهِ مِنَ المَوتِ عَلى مَظاهِرِ الطَّبيعَةِ والشَّبابِ والبَشَرِ، وهذا ناتِجٌ عَن عَجزِهِ وفَشَلِهِ في تَحقيقِ الحَياةِ الرَّغيدَةِ الَّتي تَمَنّاها.

6- كانَ ابنُ الرّومِيِّ في بَعضِ حالاتِهِ مُحِبًّا لِلمَوتِ مُتَمَنِّيًا لَهُ، وهذا بادٍ في رِثائِهِ الأَحِبَّةَ المُقَرَّبينَ، ولكِنَّ هذا الحُبَّ لِلمَوتِ كانَ عابِرًا، ولَيسَ سِمَةً دائِمَةً فيهِ، بَل إِنَّ حالَتَهُ النَّفسِيَّةَ في مِثلِ هذِهِ المَواقِفِ المُؤَقَّتَةِ حَكَمَت عَلَيهِ بِذلِكَ، وهَذِهِ حالاتٌ خاصَّةٌ لا تَنسَحِبُ عَلى دَيمومَةِ تَفكيرِهِ واعتِقادِهِ في حُبِّ الحَياةِ وكُرهِ المَوتِ.

7- كانَ لابنِ الرُّومي ثَقافَةٌ واسِعَةٌ، وظَّفَها في خِدمَةِ أَغراضِهِ ومَوضوعاتِهِ الشِّعرِيَّةِ.

8- اعتَمَدَ ابنُ الرّوميِّ عَلى الأَلفاظِ الفارِسِيَّةِ، ولَجَأَ إلى قَلبِ الصُّوَرِ في حَديثِهِ عَنِ الشَّيبِ بِشَكلٍ لافِتٍ، وكانَ التِّكرارُ مُلاصِقًا في مَوضوعاتِهِ، كُلُّ ذلِكَ أَتى بِهِ لَيسَ عَبَثًا، بَل أَرادَ أَن يَرسُمَ في مُخَيِّلَةِ القارِئِ صورَتَهُ الحَقيقِيَّةَ في مَراحِلِ حَياتِهِ جَميعِها.

9- تَشابَهَت نَظرَةُ ابنِ الرّومِيِّ تُجاهَ المَرَضِ والشَّيبِ والزَّمَنِ، فرَأَى فيها فِعلًا مُكَمِّلًا لِلمَوتِ ووَجهًا مِن وُجوهِهِ المُختَلِفَةِ، فنَبَذَ المَرَضَ وأَصبَحَ يُشَكِّلُ عُقدَةً عِندَهُ في حَياتِهِ، وازدَرى الشَّيبَ وهاجَمَهُ، وحَمَّلَ الزَّمَنَ مَصائِبَ الدَّهرِ، وزَعَمَ في جُلِّ قَصائِدِهِ أَنَّهُ –أَي الزَّمَن– هُوَ المَوتُ نَفسُهُ.

10- في مَراحِلِ حَياةِ ابنِ الرّومِيِّ المُتَأَخِّرَةِ أَخَذَ يَتَبَنّى النَّظرَةَ الإِسلامِيَّةَ في المَوتِ والحَياةِ الأُخرى، وعَمِلَ عَلى إِصلاحِ نَفسِهِ دينيًّا، ولكِنَّ هذا لَم يَكُن لِأَجلِ الدّينِ، بَل كانَ يُوَفِّرُ لَهُ مَخرَجًا مِنَ العَجزِ والهَرَمِ، وكانَ لِمآرِبَ دُنيَوِيَّةٍ تَتَمَثَّلُ في عَودَةِ الشَّبابِ لَهُ، فَبَعدَ مَوتِهِ –حَسبَ اعتِقادِهِ– سَيَدخُلُ الجَنَّةَ، فيَعودُ فيها شابًّا لا يُدرِكهُ هَرَمٌ ولا شَيبٌ، فأَصبَحَ يُرَحِّبُ بِالمَوتِ ويَتَمَنّاهُ.

ثَبتُ المَصادِرِ والمَراجِعِ

أولا: المصادر والمراجع

القران الكريم.

1. إبراهيم، زكريا: **مشكلة الحياة**، د.ط، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.

2. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،1939.

3. أدونيس، علي أحمد سعيد: **مقدمة للشعر العربي**، ط3، دار العودة، بيروت، 1979.

4. الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: **الأصمعيات**، ط5، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1979.

5. باقر، طه: **ملحمة كلكامش: أوديسة العراق الخالدة**، وزارة الإعلام، بغداد، **1975**.

6. البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: **الحماسة**، تحقيق لويس شيخو اليسوعي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.

7. التوحيدي، أبو حيان: **المقابسات**، تحقيق وشرح حسن السندوبي، ط2، دار سعاد الصباح، الكويت، 1992.

8. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤره بن موسى: **سنن الترمذي، وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل**، تحقيق صدقي جميل العطار، ط1، دار الفكر، بيروت، 2005.

9. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1983.

10. الثعالبي، أبو منصور: **الظرائف واللطائف اليواقيت في بعض المواقيت**، تحقيق ناصر محمدي محمد جاد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009.

11. جمعة، جمال: **ديوان الزنادقة**، ط1، منشورات الجمل، بغداد،2007.

12. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.

13. الحاوي، إيليا سليم: **ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره**، د.ط، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت،1959.

14. حسن، حسين الحاج: **أعلام في الشعر العباسي**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.

15. حسين، طه: **مع المتنبي**، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

16. حسين، طه: **من حديث الشعر والنثر**، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، القاهرة، 2012.

17. الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي: **زهر الآداب وثمر الألباب**، ط4، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت. د.ت.

18. حطيط، كاظم: **دراسات في الأدب العربي: البيئة العباسية**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، القاهرة، 1977.

19. الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

20. الحميري، نشوان بن سعيد: **ملوك حمير وأقيال اليمن**، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1958.

21. الحوراني، محمد عيسى: **الدهر في شعر ابن الرومي**، دروب للنشر والتوزيع، عمان، 2016.

22. خالد، أحمد: **ابن الرومي**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1977.

23. الخزاعي، دعبل بن علي: **الديوان**، تحقيق حسن حمد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.

24. خفاجي، محمد عبد المنعم: **الحياة الأدبية في العصر العباسي**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004.

25. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1970.

26. خليف، مي يوسف: **الشعر النسائي في أدبنا القديم**، دار غريب للطباعة، القاهرة.

27. الخويسكي، أماني زين كامل: **قضية الزمن في شعر ابن الرومي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2014.

28. دوزي رينهارت: **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981.

29. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **عيون الأخبار**، تحقيق لجنة من دار الكتب المصرية، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مج2، 1996.

30. الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982.

31. ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح: **الديوان**، تحقيق حسين نصار، ط3، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2003.

32. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت،2002.

33. أبو زيد: سامي يوسف: **الأدب العباسي الشعر**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان،2011.

34. الزير، محمد بن حسن: **الحياة والموت في الشعر الأموي**، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، 1989.

35. سلام، محمد زغلول: **دراسات في الأدب العربي**، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1976.

36. شرف الدين، خليل: **ابن الرومي**، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1984.

37. الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي: **الشهاب في الشيب والشباب**، ط1، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1302هـ.

38. شلق، علي: **ابن الرومي في الصورة والوجود**، ط1، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1960.

39. الشمريّ، ثائر سمير حسن: **الاعتراض في الشعر العباسي: مفهومه، موقعه، دلالته، بلاغته**، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2016.

40. صبح، علي علي: **عبقرية ابن الرومي**، مطبعة الأمانة، مصر، 1975.

41. الصفدي، ركان: **ابن الرومي الشاعر المجدد**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2012.

42. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، ج10، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تِركِي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.

43. ضيف، شوقي: **العصر العباسي الثاني**، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1975.

44. الطائي، حبيب بن أوس بن الحارث: **الديوان**، شرح خطيب التبريزي، تحقيق راجي الأسمر، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت،1994.

45. طرفة بن العبد، **الديوان**، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

46. العامري، لبيد بن ربيعة: **الديوان**، تحقيق، حمدو طماس، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2004.

47. عباس، إحسان: **شعر الخوارج**، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1974.

48. عبد الحافظ، صلاح: **الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره: دراسة نقدية نصية**، دار المعارف، القاهرة،1983.

49. عبد الحميد، عرفان: **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية**، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967.

50. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي: **العقد الفريد**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

51. عبود، مارون: **الرؤوس**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

52. أبو العتاهية، أبو إسحق إسماعيل بن القاسم: **الديوان**، دار صادر، بيروت، 1964.

53. عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط1، دار ابن خلدون، بيروت، 1978.

54. عطوان، حسين: **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول**، دار الجليل، بيروت، 1984.

55. عطوي، فوزي: **ابن الرومي شاعر الغربة النفسية**، ط2، دار الفكر العربي، بيروت، 1998.

56. العقاد، عباس محمود: **ابن الرومي حياته من شعره**، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، القاهرة، 2012.

57. الفاخوري، حنّا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم**، ط2، دار الجيل، بيروت، 1995.

58. الفارسي، الأمير علاء الدين علي بن بلبان: **صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993.

59. فضل، صلاح: **مناهج النقد المعاصر**، ط1، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.

60. فرّوخ، عمر: **دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، ابن الرومي، علي ابن العباس بن جريح**، ط2، منشورات مكتبة ميمنة، بيروت، 1949.

61. ابن كثير، الإمام الحافظ ابي الفداء إسماعيل: **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988.

62. مارون، يوسف: **ابن الرومي شاعر الوجدان الإنساني (دراسة نقدية في مراثيه)**، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،2013.

63. المازني، إبراهيم عبد القادر: **حصاد الهشيم**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

64. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي: **الديوان، بشرح أبي البقاء العكبري**، ضبط وتصحيح مصطفى السقا، وإبراهيم البياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1936.

65. محجوب، فاطمة: **قضية الزمن في الشعر العربي، الشباب والمشيب**، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت. http://lisaanularab.blogspot.com/2013/02/blog-post_8602.html

66. المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى: **معجم الشعراء**، تحقيق فاروق اسليم، ط1، دار صادر، بيروت، 2005.

67. المعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران ومعها نص محقق لرسالة ابن القارح**، تحقيق عائشة عبد الرحمن" بنت الشاطئ"، ط9، دار المعارف، القاهرة، 1977.

68. المعري، أبو العلاء: **اللزوميات**، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001.

69. المقدسي، أنيس: **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ط 17، دار العلم للملايين، بيروت، 1989.

70. أبو منصور، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي: **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق عبد الرحيم، ط1، دار القلم، دمشق، 1990.

71. ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

72. النجفي، عبد الحسين أحمد الأميني، **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1994.

73. النويهي، محمد: **الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه**، ج1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

74. النويهي، محمد: **ثقافة الناقد**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969.

75. هلال، هيثم: **أساطير من العالم**، دار المعرفة، بيروت، 2004.

76. يارد، نازك سابا: **ابن الرومي شاعر الحس والعاطفة والخيال**، ط1، بيت الحكمة، بيروت، 1969.

ثانيا: الرسائل الجامعية

1. حسن، نارمين محب عبد الحميد: **توظيف اللون في شعر ابن الرومي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر، د.ت.

2. رزق، الشيخ خليل: **علم الأئمة المعصومين مقاربة فلسفية كلامية**، (رسالة ماجستير منشورة) ط1، دار الهادي، بيروت، 2006.

3. السوداني، صفيَّة عبد القادر إسماعيل: **الوصف في شعر ابن الرومي**، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة أم القرى)، 1985.

4. العكلوك، عبد اللطيف بن رياض بن عبد اللطيف: **منهج المعتزلة في توحيد الأسماء والصفات عرض ونقص**، رسالة ماجستير منشورة، غزة، الجامعة الإسلامية، 2011

5. المطرفي، حمد محمد خضر: **الدهر في ديوان الهذليين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 2015.

ثالثا: الدوريات

1. الديك، إحسان: ***البئر بوابة العالم السفلي في الشعر الجاهلي*، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، م (36)، الجامعة الأردنية، الأردن، 2009.

2. قاسم، باسم إدريس: ***الشاعر الجاهلي والوجود: دراسة فلسفية ظاهراتية*، مجلة المستقبل العربي**، بيروت، العدد (423)، 2014.

An- Najah National University

Faculty of Graduates Studies

Life and death in Ibn Al-Rumi's poetry

By
Mohammad Ahmad Said Hamwah

Supervised by
Dr. Abdul Khaliq Issa

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of arabic language, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.
2017

Life and death in Ibn Al-Rumi's poetry

By
Mohammad Ahmad Said Hamwah
Supervision By
Dr. Abdul KhaliqIssa

Abstract

This study aims to figure out and illustrate the issue of life and death in Ibn Al-Rumi's poetry , address their philosophical impact on him and decode their connotations and their psychological impact through gauging and digging into his poems and pursuing all the relevant details mentioned in his collection of poems.

This study consists of an introduction, a preface, two chapters and a conclusion.

In the introduction, the researcher discusses the topic, methodology, contents, significance , references and sources of the study. However, in the preface, the researcher briefly focuses on the issue of life and death up to the Abbasid period highlighting the prevalent mythological and traditional beliefs in the earlier times.

In the first chapter, the concepts of life and death in Ibn Al-Rumi's poetry are extensively illustrated ,where the opinions of the researchers, critics are introduced together with Ibn Rumi's point of view of certain topics closely associated with life and death.

In the second chapter, the researcher addresses the features of death in Ibn Al-Rumi's poetry, especially, when the poet talks about age, sickness and grey hair. These features had always disturbed Ibn Al-Rumi's life.

In the conclusion, the researcher concludes the main findings of the study.